معارك إسلامية خالدة

معركة الزلاقة

أعظم انتصار إسلامي على أرض الأندلس

محمد غريب جودة

دار الطلائع

منحة 2006

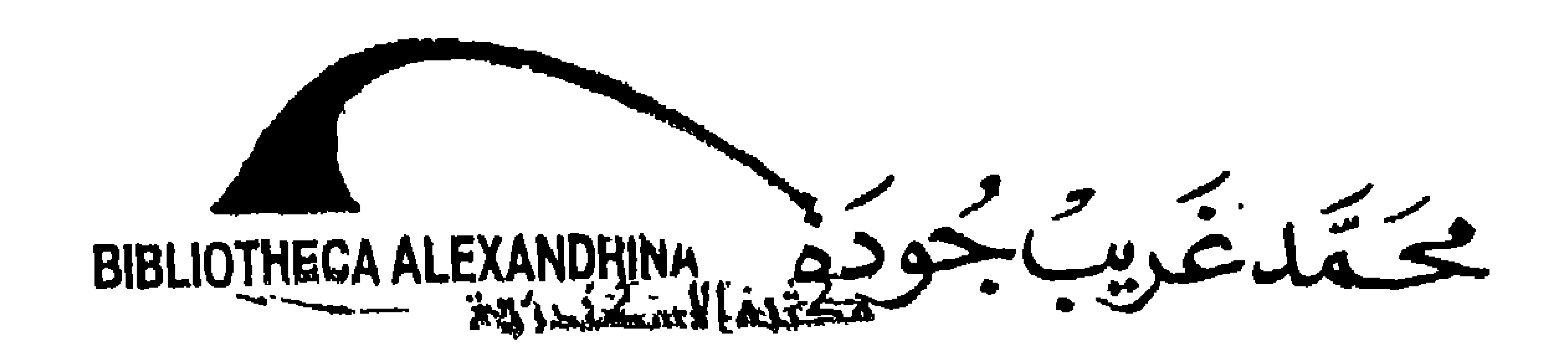
SIDA

السويد

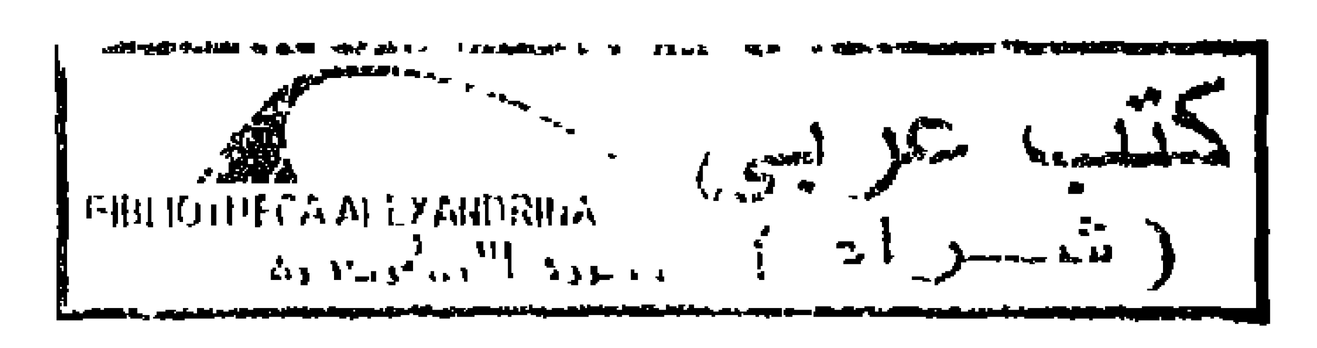
معارك إسلاميَّة خالدة

مَعركة الزلاقة

أعظم انتصار إسلامي على أرض الأندلس



محمد غريب جودة



دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير
٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي ناصية امتداد مكرم عبيد
وسمير فرحات - مدينة نصر القاهرة - فاكس ٢٤٨٠٤٨٣
تليفون ٢٤٧٩٨٦٣/ ٢٦٠٤٦٤٢

الوكلاء بالدول العربية

السعودية

● الدار البيضاء للنشر والتوزيع

الرياض ت ٤٢٥١٦٢٤ ص.ب ٨٩٥٦٢ الرياض الرمز ١١٦٩٢

● كنوز المعرفة للنشر والتوزيع

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

● دار المعرفة للنشر والتوزيع

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء

ص.ب 4150 ☎ 300567 - 309520

● المكتبة السلفية للنشر والتوزيع

12 حي الداخبلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء

☎ 307643

الإمارات

● دار الفضيلة للنشر والتوزيع

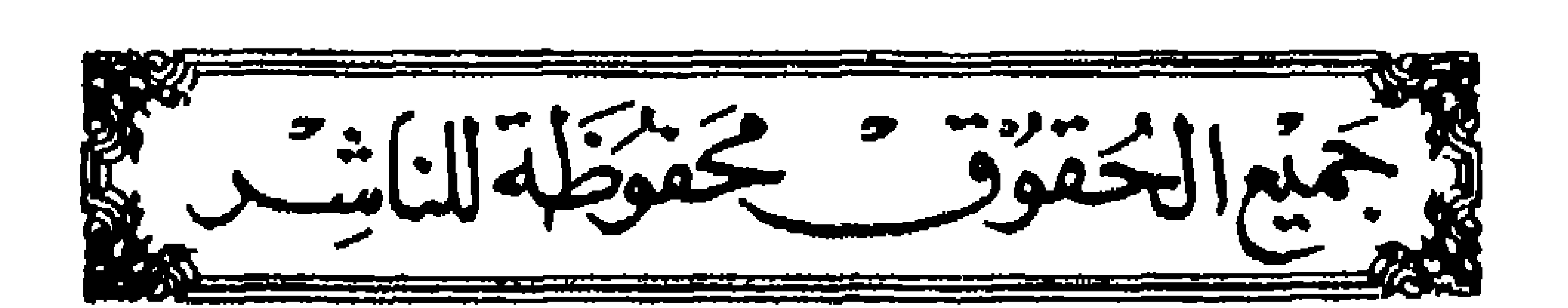
دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

● دار الحكمة للنشر والتوزيع

ص ب ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٢٦٠٣٢


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

القارىء العزيز :

بعد كتاب «**معركة ذات الصوارى**» ، هذا هو كتابنا الثانى فى سلسلة «**معارك إسلامية خالدة**» نقدمه لك لكى تزهو بمعرفة تفاصيل واحد من أمجد الانتصارات الإسلامية وأعمقها تأثيراً فى مجرى التاريخ ؛ ذلك أن معركة الزلاقة قد وقعت فى أوان عصيب كاد فيه الاسبان الشماليون يلتهمون الأندلس الإسلامية ويستذلون ويشردون مسلميها ، فجاء نصر الزلاقة العظيم ليحبط مسعاهم ويضيف إلى عمر الأندلس ما يربو على أربعة قرون أخرى ظلت فيها رايات الإسلام ترفرف عليها ..

ونحن نهدى هذا القبس من صفحات الجهاد إلى شباب أمتنا المتطلع إلى غدٍ أفضل يتنشق فيه نسائم عز الإسلام ويرفل فى عباءة مجده وسؤدده ، كما نهديه أيضاً إلى روح مجاهدنا العظيم بطل الزلاقة «**يوسف بن تاشفين**» سائلين المولى عز وجل أن يثيبه عظيم جناته وأن يعلى قدره بين الطبقة الأولى من المجاهدين الأبرار ..

مع أطيب تمنياتنا

المؤلف والناشر

س : هل يمكننا العودة إلى الوراء لإلقاء نظرة شاملة على تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامى وحتى الأحداث التى سبقت معركة الزلاقة مباشرة ؟

ج : هذا بالفعل هو أنسب مدخل يتيح لنا أن نتفهم الأهمية التاريخية لانتصار الزلاقة العظيم ، فهيا بنا ...

بدأت سلسلة الأحداث عام ٩١ هـ (٧١٠ م) عندما أرسل القائد « **موسى بن نصير** » - والى بنى أمية على المغرب - القائد العربى « **طريف بن مالك** » فى حملة استطلاعية على جنوب أسبانيا[١] ، فأدى طريف المهمة على خير وجه وعاد وقد عرف نقاط ضعف العدو . وفى العام التالى ٩٢ هـ (٧١١ م) أرسل موسى إلى الأندلس حملة بقيادة البطل المسلم « **طارق بن زياد** » فعبرت المضيق الذى عرف بعد ذلك بمضيق جبل طارق وزحف داخل اسبانيا ، وبعد أن تلقى المدد التقى بالجيوش القوطية[٢] فى « **وادى لكة** » حيث أحرز بجيشه الصغير انتصاراً حاسماً عليها ، ثم انطلق يفتح مناطق أخرى من اسبانيا . وعبر موسى بن نصير المضيق على رأس حملة أكبر وأكمل البطلان المسلمان فتح شبه جزيرة أيبيريا[٣] إلا إقليم أشتوزية الجبلى فى

(١) لبى موسى فى ذلك دعوة أنصار ابن ملك اسبانيا المتوفى ، الذين طلبوا عون المسلمين ضد الطاغية « **لذريق** » مغتصب العرش .

(٢) كانت اسبانيا فى زمن الفتح الإسلامى واقعة تحت حكم شعب يسمى « **القوط الغربيون** » .

(٣) شبه جزيرة أيبيريا : شبه جزيرة توجد بأقصى جنوب غرب أوربا وتضم اسبانيا والبرتغال وهما البلدان اللذان خضعا للحكم الإسلامى طويلاً .

الركن الشمالى الغربى وبعض الأجزاء الشرقية . وقد تحصنت أعداد قليلة من فلول الجيش القوطى فى أشتورية واستهان الفاتحون المسلمون بأمرهم وتركوهم لشأنهم ، وكان هذا هو مكمن الخطر الذى استفحل أمره بعد ذلك بعدة قرون وأسفر فى نهاية الأمر عن ضياع الأندلس من أيدى المسلمين .

واستتب الحكم العربى فى الأندلس وتتابع عليها الولاة من قبل الدولة الأموية حتى جاء دور الوالى العظيم « **عبد الرحمن الغافقى** » ، وكان حاكماً قديراً وقائداً بارعاً ومسلماً مجاهداً من الدرجة الأولى ، فانطلق من شرق اسبانيا عاقداً العزم على فتح فرنسا وضمها إلى قواعد الإسلام . وتمكن عبد الرحمن بالفعل من فتح نصف فرنسا الجنوبى كله والوصول إلى مشارف باريس ، لكن النزاعات داخل المعسكر الإسلامى والحرص على الغنائم على نحو أثقل الجيش وأبطأ حركته ، وكذلك الاستشهاد المفاجىء للقائد المسلم العظيم كلها عوامل أدت إلى هزيمة جيش الإسلام حين التقى بجيوش الفرنجة (جيوش فرنسا وألمانيا) بقيادة « **شارل مارتل** » فى موقعة « **بلاط الشهداء** » ، مما أسفر عن تحول مسار التاريخ بعد أن كادت أوربا تدين بالإسلام .

وجاءت الثورة العباسية فى مشرق الأمة الإسلامية وانقضى معها حكم بنى أمية ، لكنه بقى مع ذلك فى الأندلس دون سائر بلاد الأمة . وسر ذلك أن شاباً جسوراً من بنى أمية هو « **عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام** » حفيد الخليفة « **هشام بن عبد الملك** » استطاع الهرب إلى الأندلس حيث جمع حوله بعض أعوانه وتمكن من استمالة قلوب الأندلسيين وكسب ولائهم ، وبذلك دانت له البلاد وأسس بها الخلافة الأموية الأندلسية .

وقد اشتهر عبد الرحمن بن معاوية باسم « **عبد الرحمن الداخل** » لدخوله الأندلس طريداً شريدا وتأسيسه بها مُلكاً عظيماً ، كما اشتهر أيضاً بلقب « **صقر قريش** » الذى أطلقه عليه عدوه الخليفة العباسى « **المنصور** » إعجاباً بجرأته وحسن تدبيره !. وفى عهد عبد الرحمن الداخل حاول الإمبراطور شارلمان أن يغزو الأندلس بجيوش الفرنجة بالتعاون مع بعض الخونة الذين كانوا يدعون الإسلام ، لكن محاولته أفشلها الله وأُبيدت مؤخرة جيشه فى منطقة « **ممر رونشفالة** » بجبال البرانس[٤]. ومضى عبد الرحمن يثبت دعائم حكمه ويدفع بالأندلس إلى ذروة القوة والمجد والحضارة .

وأعقب عبد الرحمن فى الخلافة ابنه « **هشام الأول** » الذى كان مسلماً تقياً ورعا نشر العدل فى ربوع الأندلس ، وبعده تولى ابنه « **الحكم الأول** » الذى وقعت فى عهده بعض الاضطرابات ، ثم تولى ابن الحكم « **عبد الرحمن الثانى** » الذى عرف أيضاً بعبد الرحمن الأوسط .. وبعد ذلك توالى من بنى أمية ثلاثة خلفاء ثم جاء موعد التاريخ مع الخليفة العظيم « **عبد الرحمن الثالث** » الذى اشتهر باسم « **عبد الرحمن الناصر** » فقد بلغت الأندلس أوج قوتها وحضارتها فى عهده حتى أصبحت واحدة من أقوى دولتين فى العالم فى ذلك العصر (والثانية كانت إسلامية عربية أيضاً وهى الدولة العباسية وعاصمتها بغداد ، لكنهما للأسف كانتا متخاصمتين ولو كان الأمر غير هذا فى ذلك العهد بالذات لصار كوكب الأرض كله يدين بالإسلام !) .

وكان آخر خلفاء بنى أمية فى الأندلس قبل تولى عبد الرحمن الناصر هو جده عبد الله الذى كان حاكماً خائباً كرهه الناس وتمردوا

---

(٤) جبال البرانس سلسلة من الجبال تفصل بين فرنسا واسبانيا ، وممر رونشفالة أو « **الرونسِيسْفال** » ممر جبلى ضيق وعر يخترق هذه الجبال .

عليه وتفتت فى عهده الأندلس واستقل كثير من حكام الأقاليم بما تحت أيديهم ، لكن عبد الرحمن الناصر الذى أمسك بزمام البلاد وهو فى الواحدة والعشرين فقط من عمره أظهر براعة واقتداراً عظيمين فى معالجة ما أفسده جده فقضى على حركات التمرد وجاهد جهاداً عظيماً تمكن معه بعد ١٨ عاماً من إعادة كل ما ضيعه أجداده من أراضى الدولة وعاد بها إلى حدودها فى عهد جده المؤسس عبد الرحمن الناصر . وكان اسبان الشمال من أعداء الأندلس المسلمة قد ازدادوا قوة على مر الأعوام واتسعت دولهم بصفة خاصة فى عهد الضعف والتفرق الذى سبق عهد عبد الرحمن الناصر . وإبان حكم الناصر تجرأ « **أردون الثالث** » ملك ليون وهاجم الولايات الإسلامية المستقلة الواقعة فى شرق الدولة الأموية وبلغ أسوار مدينة « **ماردة** » وأفزع سكان « **بطليوس** » فأسرعوا يسترضونه بالمال اتقاء لشره . وأحس عبد الرحمن الناصر بالخطر لقرب هاتين المدينتين من العاصمة الأموية « **قرطبة** » فوثب وثبة الأسد على ممالك الشمال الاسبانية وبعد مناوشات وهجمات متبادلة أوقع بهم هزيمة ثقيلة فى معركة « **وادى القصب** » ثم كر عليهم مرة أخرى فدمر معاقلهم وحصونهم وعلمهم كيف يكون الخوف والفزع العظيم !.

وتوفى الخليفة العظيم عن سبعين عاماً منها قرابة خمسين عام قضاها فى حكم الأندلس والذود عن الإسلام والبناء والتعمير وإشاعة العدل والهناء بين الرعية ، ويكفى هذا الخليفة العظيم – الذى لا يعرف الكثيرون منا شيئاً عنه – أن بعض مؤرخى الغرب اعتبروه واحداً من أعظم الحكام الذين عرفتهم البشرية ومن أوفرهم نجاحاً وتوفيقاً .

لكن الأحداث لا تسير دائماً على النحو الذى تشتهيه صفحات التاريخ ويرتضيه دستور العز والسؤدد ، فبعد عبد الرحمن الناصر تقلب

على الحكم ملوك ضعاف طمع فيهم ذئاب شمال اسبانيا وانقضوا عليهم المرة تلو المرة يلتهمون أجزاء من دولة بنى أمية ويوسعون ممالكهم على حسابها شيئاً فشيئاً فيزدادون هم قوة وبأساً وتزداد هى وهناً وتفككاً . «وكان خلفاء بنى أمية يعينون حجاباً ينوبون عنهم فى الحكم »، وكان للحاجب فى واقع الأمر اختصاصات « **رئيس الوزراء** » فى العصر الحالى . وفى عهد هشام الثانى، عاشر خلفاء الأندلس تولى الحجابة رجل بارع فائق المقدرة وأسد عظيم من أسود الإسلام هو « **محمد بن أبى عامر المُعافرى** » الذى اشتهر فى التاريخ بلقبه « **المنصور** » أو « **الحاجب المنصور** » ، وعرفه الاسبان والغربيون باسمه المحرف « **ألمانزور Almanzor** » ذلك الإسم الذى مازال الفزع منه يعصف بنفوسهم كلما قلبوا صفحات التاريخ .

كان الخليفة هشام الثانى شخصاً أبله لا يصلح لمقاليد الحكم وحماية دولة يحيط بها أعداء الدين والدنيا من عدة اتجاهات ، وكانت حياة الحريم فى المخادع أليق به من تدبير شئون الأمة وتسيير الحملات الحربية ؛ وقد أدرك « **المنصور** » حقيقة ذلك وكان لديه من الشجاعة والبراعة السياسية ما مكنه من فرض الحصار على هشام فى قصره ليتولى هو سوس العباد وحماية البلاد وتنفيذ ما عاهد رب العزة عليه من إسكات كلاب الحرب الاسبانية الوالغة فى دماء المسلمين واصطيادها من نحورها . وكان المنصور رجلاً عبقرياً وسيفاً من سيوف الله التى خلقها من أجل الجهاد وتأديب أعداء الدين ، وقد غزا ممالك الشمال الاسبانى سبعاً وخمسين غزوة ظافرة مات فى الأخيرة منها بعد أن وطد حدود دولته وضم إليها أراضى جديدة وأعاد تنظيم شئونها وتعميرها .. إنه ذلك الطراز من الرجال الذى لا يعرف الكلل ولا الراحة ولا يتقاعس دون مشقة أمر عظيم .

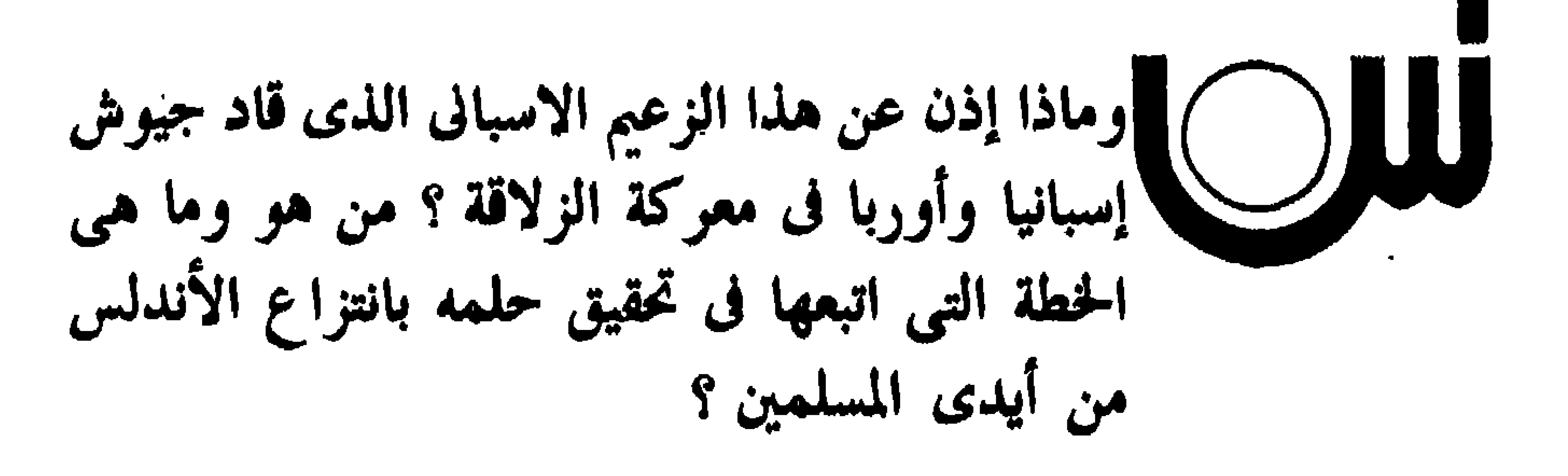
وبعد المنصور تدهورت الأمور شيئاً فشيئاً وتوالى على الدولة خلفاء أشبه بالدُمى التى يلعب بها الأطفال ؛ إذ كانوا عاجزين أذلاء لا يفهمون من أمور الدولة شيئاً ، وكان الحراس وقادة الجيش والشيع والأحزاب المختلفة يعينونهم ثم يعزلونهم أو يقتلونهم . وراح حكام الولايات يستقلون بما تحت أيديهم من البلاد ، وبدأت الدولة الأموية الأندلسية تتفتت إلى دويلات صغيرة ضعيفة ، ومضى هؤلاء الحكام يناصبون بعضهم البعض العداء ويقتتلون فى حروب زادتهم ضعفاً على ضعف وزادت حكام الشمال الاسبانى قوة وطمعاً فى هيبة الإسلام .

وبلغ التفكك والتفرق فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حداً خطيراً لدرجة أن الأسر الحاكمة المستقلة المسيطرة على المدن والأقاليم الأندلسية تكاثرت حتى بلغ عددها عشرين أسرة أُطلِق عليها فى مجموعها اسم « **ملوك الطوائف** » . وكان من أبرز هذه الأسر ما يلى :-

- **بنو ذى النون** : ملكوا طليطلة وبلنسية ومرسية والمرية ، وكانوا أقوى ملوك الطوائف .
- **بنو عباد** : ملكوا إشبيلية .
- **بنو حمود** : ملكوا مالقة والجزيرة .
- **الأدارسة** : ملكوا غرناطة .
- **بنو هود** : ملكوا سرقسطة .

وبذلك تدهورت أحوال الأندلس إلى مستوى لم تعرفه فى عهود الضعف السابقة ، وكان الحال أخطر بألف ضعف هذه المرة لأن ممالك الشمال المسيحية كانت قد بلغت حداً من القوة ووحدة الهدف يؤهلها لتحقيق ما تصبو إليه من انتزاع الأندلس من أيدى المسلمين .

وزاد الطين بلة ظهور زعيم اسبانى داهية وعنيد هو الملك ألفونسو السادس الذى جعل لحياته هدفاً واحداً هو إذلال ملوك الطوائف وضم بلادهم إلى ملكه وتوحيد اسبانيا فى ظل حكمه .



وماذا إذن عن هذا الزعيم الاسبانى الذى قاد جيوش إسبانيا وأوربا فى معركة الزلاقة ؟ من هو وما هى الخطة التى اتبعها فى تحقيق حلمه بانتزاع الأندلس من أيدى المسلمين ؟

ج : هذا الوغد « **ألفونسو السادس** » كان ابنا للملك « **فرديناند الأول** » الذى كان يحكم مملكتى « **قشتالة** » و« **ليون** » وهما مملكتان كانتا فى الأصل جزءاً من أراضى الأندلس المسلمة ثم انتزعها الإسبان . وحين حضرت الوفاة فرديناند هذا قام جرياً على عادة أبيه بتقسيم مملكته بين ولديه ، فكانت قشتالة من نصيب ولده « **سانخو الثانى** » وليون من نصيب « **ألفونسو السادس** » . وبعد ذلك ثار النزاع بين الأخوين وانتهى بمقتل « **سانخو** » عام ١٠٧٢ م واستيلاء « **ألفونسو** » على قشتالة وتوحيدها مع ليون فى مملكة واحدة تحت حكمه ، وحين ثارت شكوك نبلاء قشتالة فى قتله لأخيه جمعهم وأقسم لهم أنه لم يكن له يد فى هذا العمل فصدقه النبلاء البلهاء وكفوا عن التمرد عليه وقد أعوزهم الذكاء لفهم أن من يقتل أخاه طمعاً فى عرشه لن يتورع أبداً عن القسم الكاذب إذا كان يحقق له الظفر بالعرش وصيانة ماء وجهه !.. وعلى ذلك فألفونسو السادس هو ملك

ليون بين عامى ١٠٦٥ - ١٠٧٢ وملك ليون وقشتالة معا بين عامى ١٠٧٢ - ١١٠٩ ، وقد تزوج من الأميرة البورجونديـة[٥] « **كونستانس** » وتوفى عام ١١٠٩ م . ويجدر بالذكر أن ألفونسو يشار إليه فى كتب تراثنا العربى باسم « **الأذفونش** » أو « **ابن فرذلند** » أى « **ابن فرديناند** » .

أما عن خطة ألفونسو فى انتزاع الأندلس فكانت بسيطة للغاية وخبيثة للغاية : أن يستغل الخلافات القائمة بين ملوك الطوائف وتفتت كلمتهم فى إضعافهم أكثر وأكثر ثم فرض الإتاوات[٦] عليهم وزيادة مقدارها عاماً بعد عام من أجل اغتراف أموالهم واستخدامها فى بناء قوته العسكرية وتمويل حملاته الحربية على نحو يمكنه آخر الأمر من الوثوب على المسلمين الوثبة الكبرى وابتلاع ممالكهم وإدماجها فى رقعة مملكته ومن ثم توحيد إسبانيا فى ظل عرشه .

س : وإلى أى مدى نجح الطاغية الشرير « ألفونسو » فى تحقيق خطته الإجرامية ؟ وهل أوشك فعلاً على ابتلاع الأندلس ؟

ج : يؤكد لنا التاريخ أن « **ألفونسو** » كان بالفعل فى سبيله إلى النجاح فى مسعاه وأوشك حقاً على ابتلاع الأندلس قبل أربعمائة عام من الموعد الذى حقق فيه الاسبان حلمهم هذا ، لولا أن العناية الإلهية تداركت الأندلس برحمتها المتمثلة فى دخول ابن تاشفين وقواته المرابطية

(٥) كان إقليم « **بورجوندى** » دولة مستقلة فى ذاك العصر ، والآن يتبع فرنسا .

(٦) الإتاوات : جمع إتاوة وهى مبلغ من المال يدفع لاسترضاء الأعداء والجبارين .

حلبة الصراع على نحو قلب كل الموازين وأسفر عن هزيمة ألفونسو وإحباط مسعاه ، ولكى نوضح للقارىء إلى أى حد كان هذا الذئب الإسبانى قريباً من النجاح وتحقيق هدفه ، نسوق الحقائق التالية :-

□ سقطت مدينة طليطلة فى يد ألفونسو عام ١٠٨٥ م ؛ وكان أهل المدينة قد طردوا حاكمهم وولوا حاكماً آخر مكانه ، فاستنجد الحاكم القديم بألفونسو فانتهز ألفونسو الفرصة وتدخل بالفعل وأعاد الحاكم المطرود إلى منصبه ، ثم استولى على المدينة تماماً بعد ذلك . وكان لاستيلاء ألفونسو على طليطلة أهمية معنوية كبرى عند ألفونسو ، لأن هذه المدينة كانت العاصمة القديمة لاسبانيا فى زمن الحكم القوطى قبل الفتح الإسلامى ؛ وبالتالى فإن وجودها فى يد ألفونسو كان معناه أن شمس مسلمى الأندلس قد آذنت بالمغيب ، كما كان من ناحية أخرى يعزز مطالبته بملك جميع الأراضى الإسبانية لأن العاصمة مفتاح كل البلاد . وقد شجع هذا الانتصار الخسيس ألفونسو على أن يطلق على نفسه لقب « **امبراطور طليطلة** » ولقب « **امبراطور الديانتين** » ، أو « **ذى الملتين** » كما تشير مراجع تراثنا العربى . وهذا الغزو قد جعل حدود مملكة ألفونسو تمتد إلى نهر تاجة وتضم بين سكانها أعداداً غفيرة من المسلمين واليهود بالإضافة إلى عدد كبير من المستعربين وهم المسيحيون الاسبان الذين كانوا يتحدثون اللغة العربية لا الاسبانية .

□ قام ألفونسو – فى جرأة ووقاحة – باحتلال حصن ليط فى وسط الأندلس المسلمة ، وعززه بحامية تضم ١٢ ألفاً من خيرة جنوده . وكان الفرسان الاسبان ينطلقون من هذا الحصن فى غارات سلب ونهب لديار المسلمين دون أن يجدوا من يتصدى لهم ويردعهم .

□ تمكن قائد إسبانى غادر هو السيد القمبيطور من احتلال بلنسية ؛ وكان هذا القائد أصلاً من نبلاء ألفونسو وفرسانه ، لكن ألفونسو غضب عليه وطرده من قشتالة فذهب إلى حاكم بلنسية المسلم والتحق بخدمته حامياً له على طريقة القوات المرتزقة[7]. لكنه غدر بحاكم بلنسية واستولى على المدينة ونهب رجاله ما حولها من قرى وأحالوها إلى خرائب وأحرقوا المزارع وأحالوها إلى قفار .

□ قام ألفونسو أيضاً – متعمداً إهانة المسلمين وإفزاعهم – باختراق أراضيهم على جواده آمناً مطمئناً ودون معارضة يلقاها ، ومضى يتوغل جنوباً حتى بلغ « **جزيرة طريف** » فدفع فرسه لإدخال قوائمه فى ماء البحر وصاح فى نشوة الظفر :

« **ها قد وطئت آخر بلاد الأندلس** » —

وفى ذلك أعظم التحدى للحكام المسلمين ، لأنه ما من حاكم اسبانى استطاع قبل ذلك أن يأتى بمثل هذه الفعلة .. و رحم الله أهل الزمان الذى جثا فيه ملك نافار على ركبتيه ذليلاً أمام الحاجب المنصور « **محمد بن أبى عامر** » حين علم هذا الأخير بوجود امرأة مسلمة أسيرة بمملكة « **نافار** » ثم نهض – الملك – لفوره وأطلق سراحها فى ذل واضح وتوسل إلى ابن أبى عامر لئلاً يعاقبه ..

ومن ذلك كله نرى أن ألفونسو قد قطع شوطاً عظيماً هو ورجاله الإسبان فى تحقيق خطته ، وكاد يثب الوثبة الأخيرة فيبتلع بها الأندلس لولا أن أرسل الله منقذ الإسلام العظيم يوسف بن تاشفين فأعاد الأمور لنصابها وألزم ألفونسو جحر الذئب لا يخرج منه مادامت به الحياة .

---

(٧) المرتزقة قوات تحترف الخدمة العسكرية لدى الدول الأجنبية مقابل أجر يدفع لها .

س : ولكن ما هى الأسباب المباشرة التى اضطرت ملوك الأندلس إلى طلب العون من أسد إفريقيا ؟ وكيف نشأت فكرة الاستعانة به ؟

ج : الأحداث والتطورات التى ذكرناها كانت كفيلة تماماً بجعل ملوك الطوائف يستشعرون الخطر ويدركون أن النهاية باتت قريبة على يد الغازى الإسبانى وأن حركة الاسترداد (التى تسمى بالاسبانية الريكونكويستا Reconquista) قد أوشكت على بلوغ هدفها النهائى وهو استرداد الأندلس بكاملها من أيدى المسلمين ثم التنكيل بهؤلاء بقتلهم أو طردهم مالم يقبلوا الارتداد عن دين الله الحنيف ! لكن بدرت أيضاً من ألفونسو إهانة جديدة تجاه الإسلام والمسلمين أثارت غضب الأندلسيين وأشعلت حميتهم لدينهم السمح الذى يأمرهم دائماً بحسن معاملة أهل الكتاب وعدم إهانتهم أو جرح مشاعرهم الدينية ؛ وتفاصيل هذه الإهانة أن زوجة ألفونسو كانت حاملاً وحين أوشكت على الولادة أرسل ألفونسو إلى ملك أشبيلية « **المعتمد بن عباد** » رجلاً يهودياً يدعى « **ابن شاليب** » لإبلاغه أن الأطباء والقساوسة أشاروا عليه بأن تذهب زوجته إلى جامع قرطبة لتضع مولودها به فى موضع معين بالجانب الغربى منه ! فهكذا أراد ألفونسو تلويث بيت الله الحرام دون أية مراعاة لمشاعر المسلمين الذين كانوا دائماً يتسمون بالسماحة ويحسبون ألف حساب لمشاعر أهل الكتاب . وقد ثار ابن عباد لسماعه هذه الإهانة الموجهة للإسلام وأغلظ فى القول لرسول ألفونسو ، فإذا باليهودى يتبجح بكلام لا يقال أبداً فى حضرة ملك مما أثار غضب ابن عباد فأمسك بمحبرة ورمى بها رأس اليهودى وأمر به فصلب منكوساً (أى رأسه لأسفل ورجليه لأعلى) .

وكان ألفونسو يدرك حقيقة أن ابن عباد هو أقوى ملوك الطوائف ويعتبره العقبة الرئيسية فى سبيل إتمام سيطرته على الأندلس ، وحين بلغه ما فعله ابن عباد برسوله السفيه « **ابن شاليب** » ثار ثورة عارمة وأقسم على غزو أشبيلية ومحاصرة المعتمد بقصره إمعاناً فى الانتقام منه وإذلاله . وبالفعل أعد ألفونسو جيشين تولى قيادة أحدهما وجعل على رأس الآخر أحد قادته ، وانطلق الجيشان يعيثان فساداً ودماراً فى بلاد المسلمين وهما متجهان إلى أشبيلية من طريقين مختلفين ؛ ثم التقى الجيشان آخر الأمر بضفة النهر الأعظم حيث عسكرا فى مواجهة قصر المعتمد بن عباد . وكتب ذئب الشمال الإسبانى الولوع بإهانة المسلمين إلى ابن عباد يسخر منه قائلاً :

« كثر بطول مقامى فى مجلسى الذبان ، واشتد على الحر . فألقنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسى وأطرد بها الذباب عنى » .

والذبان هو الذباب ، وقصد ألفونسو إهانة المعتمد وتخويفه بإعلانه بأن أوان النشاط والحركة عند الملك الإسبانى قد جاء . لكن ابن عباد الذى جرت فى عروقه نخوة الإسلام وتفجرت فى كيانه ينابيع العز والشجاعة غضب غضبة الأسد الجريح وحزم أمره على الفور وتناول رسالة ذئب الشمال وكتب – وهو صناجة الشعر ومرجع البلاغة – على ظهرها ما يلى :–

« قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك . وسأنظر لك فى مراوح من الجلود اللمطية فى أيدى الجيوش المرابطية ، تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله » .

و« **مراوح الجلود اللمطية** » يقصد بها المعتمد « **تروس القتال المصنوعة من الجلد** » التى اشتهرت بصنعها والقتال بها قبيلة « **لمطة** »

إحدى قبائل الملثمين ، و« **تروح منك لا تروح عليك** » أى « **تريح الناس منك ولا تدفع الهواء نحوك** » .. هكذا كتب الملك الشاعر المسلم ، ويالها من كلمة عز متبوعة بالفعل أذكت النخوة وعز الإسلام فى النفوس وأطربت الزمان .

أما الذئب الشرير ألفونسو فحين ترجموا له رد ابن عباد على رسالته أصابه أشد الوجوم واكتست ملامحه بكآبة لم تعهد من مغرور متعجرف مثله ، إذ أنه لم يخطر له على بال قط وهو يعربد وينشر الخراب فى بلاد المسلمين احتمال أن يستعين ابن عباد وملوك الأندلس بالجيوش المرابطية الشديدة البأس التى استطارت شهرتها فى الآفاق وهابتها الدنيا .

ولاشك أن تفكير ابن عباد فى دعوة المرابطين للذود عن الحمى والدين لم يكن وليد تلك اللحظة ، بل كان يجول فى خواطر كثير من المسلمين المخلصين الذين رأوا أنه ليس هناك من يخلصهم من الخطر المحدق بهم ويحفظ عليهم نعمة الإسلام سوى البطل المغربى الأسمر « **يوسف بن تاشفين** » .. وقد بلغت فكرة استدعاء المرابطين بعداً عملياً حين أرسل بعض الفقهاء وبعض زعماء الأسر الأندلسية الكبيرة رسلهم سراً إلى المغرب لإبلاغ يوسف بما آل إليه حال الأندلس وحال الإسلام والمسلمين فيها وللاستنجاد بنخوته وغيرته على الدين الحنيف . ومع ذلك كانت كلمة المعتمد بن عباد ملك أشبيلية أول إعلان رسمى من أحد ملوك الطوائف عن نية استدعاء الأسد الإفريقى وجيوشه الظافرة ، وكانت مجرد الإشارة إلى تلك النية كفيلة بإثارة خوف ملوك الشمال الإسبانى وزعمائه ودفعهم إلى إعلان النفير العام وحالة الطوارىء القصوى وهو ما كان بالفعل !

س: وماذا كان رد فعل بقية ملوك الطوائف على إفصاح المعتمد بن عباد عن عزمه الاستنجاد بالمرابطين وإعلانه التحدى والجهاد ؟

ج : فى البداية لم يكن ملوك الطوائف الآخرون على مستوى الموقف المصيرى وتحديات البقاء التى كان يواجههم بها ألفونسو ، إذ كانوا فى حقيقة الأمر يخشون – بمنطقهم الضال وأفقهم الضيق – أن يجيء المرابطون إلى بلادهم ثم يرفضون الجلاء عنها ويضمونها إلى إمبراطوريتهم الواسعة طمعاً فى الثروة والخير الوفير .. لذلك سارع هؤلاء الملوك بالاتصال بابن عباد ليثيروا فى نفسه الخوف من فكرة مجيء ابن تاشفين ويثنوه عن عزمه الاستنجاد به ، وقالوا له ضمن ما قالوا :–

« إن المُلْكَ عقيم ، والسيفان لا يجتمعان فى غمد واحد »

وقصدوا بذلك أن المُلك شيء عزيز المنال غير متوفر وإذا فقد لا يسترد ، وأنه حتى لو اتفق ملكان على أمر ما فسرعان ما يختلفان عليه ويتنازعان ويأكل أقواهما أضعفهما !.. لكن ابن عباد الذى اشتعلت جذوة الحماس فى نفسه وسرت نخوة الإسلام فى عروقه كان قد حزم أمره وعزم على الجهاد والظفر بإحدى الحسنيين « **النصر أو الشهادة** » ، فتوجه إلى رفاقه ملوك الطوائف بقولته الخالدة التى حسمت الموقف وجرت بعد ذلك مجرى الأمثال :

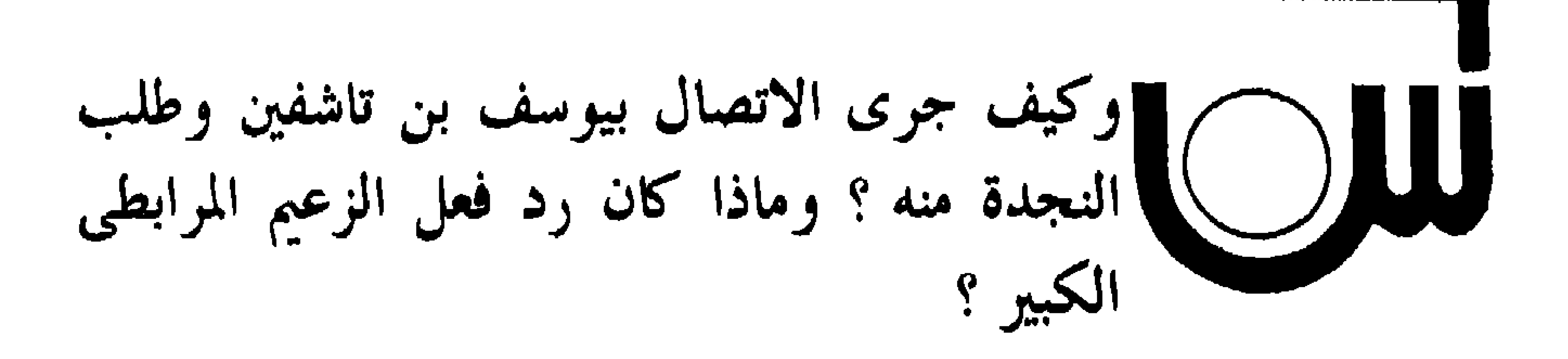
« رعى الجمال خير من رعى الخنازير »

أو كما تشير بعض المراجع :

« لئن أرعى الجمال فى إفريقية خير لى من أن أرعى الخنازير فى قشتالة » .

والمعنى أنه حتى لو وصل به الحال إلى الوقوع فى قبضة ملك مسلم فيسخره فى رعى الجمال فهذا أعز وأكرم له من الوقوع فى قبضة ملك إسبانى فيسخره فى رعى الخنازير !...

واقتنع ملوك الأندلس آخر الأمر بوجهة نظر ابن عباد ، وأيقنوا أن ملاذهم الأخير وانتصارهم للدنيا والدين هو فى الاستنجاد بالأسد المرابطى المتحفز لنصرة دين الله الحنيف ولإنقاذ إخوته وأخواته فى ساحة الإيمان .



وكيف جرى الاتصال بيوسف بن تاشفين وطلب النجدة منه ؟ وماذا كان رد فعل الزعيم المرابطى الكبير ؟

ج : فكر المعتمد بن عباد جيداً فى طريقة الاتصال بابن تاشفين وطلب النجدة منه ، واستقر على رأى صائب هو أن يرسل لزعيم المرابطين وفداً رسمياً يمثل الأندلس فى مجموعها ليظهر للمرابطين اتفاق كلمة ملوك الطوائف وحزمهم أمرهم على الجهاد الحق فى سبيل الله ، وليمحو من أذهانهم ما استقر فيها من أفكار سيئة عن ضعف حكام الأندلس وتنازعهم . وقد طلب قاضياً من بطليوس وقاضياً من غرناطة وأضاف إليهما قاضى قرطبة ، وشكل منهم بعثة رسمية جعل على رأسها

وزيره « **أبا بكر بن زيدون** » وأرسلهم إلى ديار أمير المسلمين وكلفهم بشرح ما آل إليه حال الأندلس وكيف يستعد ألفونسو للضربة الكبرى وانتزاع ديار الإسلام ، والاستنجاد بأمير المسلمين وطلب عون الجيوش المرابطية . كما فوض لهم إجراء الاتفاقات اللازمة مع يوسف بشأن عبور القوات المرابطية لمضيق جبل طارق وانتقالها إلى القواعد العسكرية المؤقتة وتدبير الإمدادات والتموين وما إلى ذلك مما يلزم لتهيئة الجيوش للحروب الكبرى .

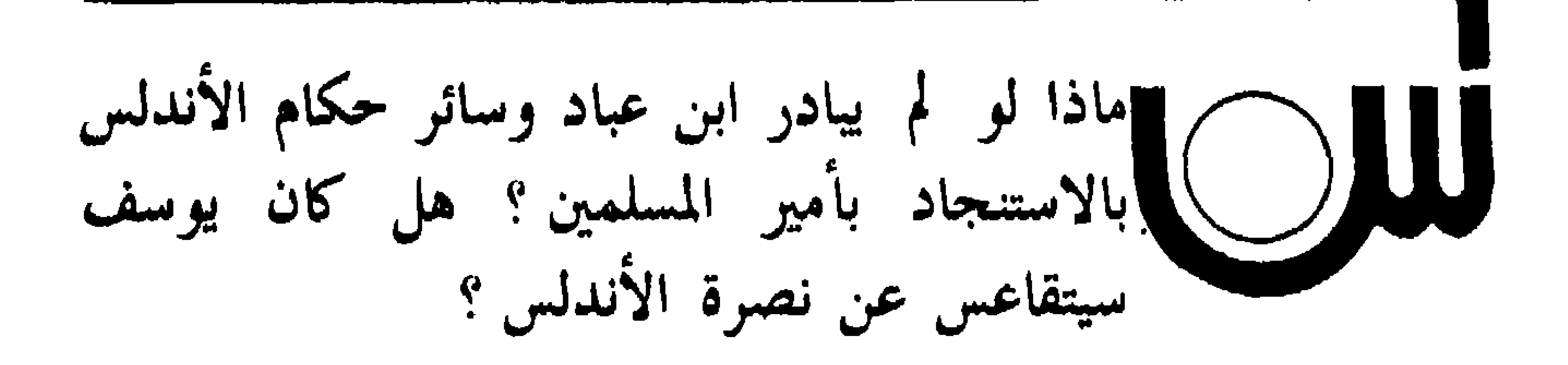
س : وماذا كان رد فعل أمير المسلمين على استجارة حكام الأندلس به ؟

ج : كما ذكرنا قبلاً كان البطل المرابطى على علم كامل بأحوال الأندلس وكانت وفود مسلمى الأندلس تتوالى عليه فى عاصمته « **مراكش** » وتبكى فى حضرته مر البكاء على ما حل بقومها من اضطهاد وذل وخسائر فادحة وما لحق بدين الله القويم من إهانات على يد الذئب الإسبانى . وكان يوسف راغباً فى تقديم العون ونصرة دين الله والقصاص من أشرار إسبانيا ، لكنه كان يتريث ويجرى حساباته الدقيقة لكل الاحتمالات .. بل وكان فى واقع الأمر فى انتظار « **استغاثة** » تصله من ملوك الطوائف ليبدأ فى أداء واجبه !..

استقبل أمير المسلمين الوزير أبا بكر بن زيدون والقضاة الثلاثة بالترحاب اللائق وأكرم وفادتهم ، ثم أحسن الاستماع إليهم وهم يشرحون له موقف الأندلس العسير ويطلبون منه باسم ملوك الأندلس

وشعبها وبحق أخوة الإسلام العظيمة أن يبادر بنجدتهم واستنقاذ بلادهم من يد ألفونسو المخضبة بالدماء .. واستجاب أمير المسلمين لطلبهم وأعلنهم بتلبيته لنداء الحق والواجب وبأن نصرة الإسلام ونجدة الأندلس هو منذ الساعة همه الأوحد وشغله الشاغل ، وأنه قد نذر حياته لهذا الأمر العظيم ليحققه أو يستشهد دونه .

وعلى الفور نهض ليث الإسلام وانبرى للمهمة الشاقة ، ومضى يوفد رسله ومبعوثيه إلى المرابطين فى شتى أنحاء المغرب وموريتانيا وحوض السنغال ومالى وقلب الصحراء الكبرى لإخطارهم أن ساعة الجهاد قد حانت ولاستثارة نخوتهم واستنهاض هممهم .. ونفر المرابطون يلبون الدعوة ويندفعون إلى شاطىء المغرب كالسيل المنهمر ، وكانوا على اختلاف أعراقهم من عرب وبربر وزنوج أفارقة تجمعهم وحدة الإسلام وعروته الوثقى وتظلل راياته المنصورة هاماتهم وهم يتنادون بنداء واحد : الله أكبر .. حى على الجهاد .. لبيك أندلس الإسلام والحضارة !...



ماذا لو لم يبادر ابن عباد وسائر حكام الأندلس بالاستنجاد بأمير المسلمين ؟ هل كان يوسف سيتقاعس عن نصرة الأندلس ؟

ج : تؤكد كل المؤشرات وكل شواهد التاريخ أن **يوسف بن تاشفين** كان يرنو إلى الأندلس دون أن تغفل عينه عن نذر عاصفة الكفر التى توشك أن تهب على الإسلام فيه ، وأنه لم يتوان – حتى حين كان مشغولا بتوطيد دعائم الدولة المرابطية الفتية فى المغرب

وإفريقيا – عن مراقبة أحوال فردوس الإسلام الذبيح ، وأنه كان يتحسب للحظة المناسبة التى يتدخل فيها ليردع السفاح الإسبانى ويضع حدا لتعديه على ديار الإسلام . ولم يتوقف الأمر عند حدود التطلع والتمنيات الطيبة ؛ بل اتخذ أمير المسلمين إجراءات عملية تؤكد صدق نيته على نصرة الأندلس ، إذ أرسل عيونه يستطلعون له أرضها ويكتسبون الخبرة بدروبها ومسالكها ، حتى إذا حان أوان الجهاد والهجمة الكبرى أمكن للجيوش المرابطية أن تخوض غمار المعارك برصيد كبير من الخبرة بميادين القتال .. ومعلوم أن دستور الحرب ينص على مبدأ هام هو « **لا تقاتل على أرض تجهلها** » ، فالأرض تقاتل مع صاحبها ضد الغريب ومع من يعرفها ضد من يجهلها ..

وأغلب الظن أن تريث أمير المسلمين فى انتظار سماع الاستغاثة الأندلسية كان الهدف منه ضمان تعاون حكام الأندلس مع الجيوش المرابطية مما يسهل عليها – ولاشك – مهمتها وهى تقاتل خارج أرض إفريقيا . ومالم يستنجد هؤلاء الحكام بالرجل ، فقد كان حتما سيتريث حتى اللحظة الأخيرة ثم ينهض إلى أعباء مسئوليته فى الذود عن الإسلام وأوطانه ، والذى يؤكد لنا هذا الرأى هو تلك الكلمة الواضحة الدلالة التى قالها أمير المسلمين ذات مرة :

« لئن عشت لأعيدن جميع البلاد التى ملكها الروم[8] إلى المسلمين ، ولأملأنها عليهم خيلا ورجالاً لا عهد لهم بالدعة ، ولا علم عندهم برخاء العيش[9] » .

---

(٨) « **الروم** » مصطلح كان فى العصور الإسلامية الأولى يشير إلى فئة معينة من الأوروبيين ، ثم جرى تعميمه بعد ذلك وأصبح يشير إلى كل الأوربيين ؛ وهو هنا يشير إلى الأسبان بصفة خاصة . انظر كتابنا « **معركة ذات الصوارى** » الصادر عن دار الطلائع .

(٩) أى مقاتلين أشداء لا يعرفون الراحة ولا حياة الترف واللهو .

س : آن الأوان – وقبل الدخول فى وقائع معركة الزلاقة وسير العمليات الحربية – للإحاطة ببعض التفاصيل عن شخصية مجاهدنا العظيم ، فمن هو ياترى يوسف بن تاشفين ؟ .

ج : يوسف بن تاشفين هو أحد أعظم المجاهدين الذين عرفتهم أمتنا الإسلامية وقد ولد عام ٤٠٠ هـ فى الصحراء الكبرى بمضارب خيام قبيلة لمتونة إحدى قبائل البربر الملثمين ، وأبوه هو « **تاشفين بن إبراهيم بن تورجوت** » وأمه هى السيدة الفاضلة « **فاطمة بنت سير ابن يحيى** » . وقد تربى فى صغره على حياة البداوة وخشونتها فنشأ قويا صلب العود ، وتوفى والده وهو بعد صغير فحرصت أمه على أن ينشأ نشأة إسلامية قويمة كان لها أكبر الأثر فى تكوين شخصيته وفى تهيئته لقدره العظيم ودوره الحاسم فى إنقاذ الأندلس .

وقد ارتبط يوسف منذ شبابه المبكر بابن عم له هو **يحيى بن إبراهيم الجدالى** الذى كان سيد قومه ، فتأثر به وتنقل معه فى أسفاره واكتسب من مصاحبته له خبرات عظيمة ، وبعد ذلك انتقلت زعامة المرابطين الملثمين إلى ابن عم آخر ليوسف هو « **أبو بكر بن عمر** » الذى توجه نحو الشمال ليفتح بلاد « **السوس** » بجنوب المغرب ؛ واختار أبو بكر « **يوسف** » ليقود مقدمة الجيش ، فقام يوسف بغزوات ناجحة وتمكن من فتح « **تارودنت** » عاصمة بلاد السوس . وبعد ذلك حين عبرت الجيوش المرابطية جبال أطلس لإخضاع قبيلة **برغواطة** – التى خرجت على الإسلام وحرفت تعاليمه – وإجبارها على العودة إلى قواعد الدين السمح الصحيحة ، لعب يوسف دوراً كبيراً

فى التخطيط العسكرى وقيادة الهجمات حتى تحقق النصر وأذعنت برغواطة وأسلمت من جديد . ومع معارك الفتح المرابطى للمغرب بدأ نجم يوسف يعلو ويعلو ، وصارت شجاعته وبراعته فى القيادة مدار حديث المرابطين ، وحدث فى ذلك الوقت أن اضطر الزعيم « **أبو بكر ابن عمر** » للعودة إلى الصحراء لتأديب بعض المتمردين عليه من الملثمين وملوك الزنوج فترك لشيوخ المرابطين اختيار نائب له على المغرب ، فأجمع هؤلاء على اختيار يوسف ، فرحل أبو بكر إلى الصحراء مطمئناً بعد أن قسم الجيش بينه وبين يوسف .

تزوج يوسف السيدة « **زينب النفزاوية** » التى كانت زوجة لابن عمه أبو بكر ثم طلقها قبل رحيله إلى الصحراء لئلا ينشغل بأمرها عما نذر نفسه له من الجهاد ، وكانت زينب على قسط وافر من الجمال وحسن الخلق والثراء ورجاحة العقل ، وقد وقفت إلى جانب زوجها تؤيده وكانت له نعم الناصح والمشير .. والله حين يرضى عن أحد عباده ويشاء أن يهديه – وهو بعد فى الحياة الدنيا – بقطعة من الجنة ، ينعم عليه بالزوجة الصالحة الحسناء ! ..

بدأ يوسف طريق الزعامة ببناء مدينة « **مراكش** » العظيمة كقاعدة عسكرية لجيوشه فى المغّرب ، وشارك بنفسه فى البناء فكان يحمل الأحجار مع العمال ! .. كما أعاد البطل الكبير تنظيم جيشه الذى كان قد بلغ ٤٠ ألفا فى ذلك الوقت ، وأدخل فى عداده فِرقًا من الأفارقة الزنوج ، وسلحه بكل أنواع الأسلحة المعروفة ، وجعل فيه فصائل من قارعى الطبول لتحميس الرجال وتنظيم حركتهم ، فصار جيش المرابطين من أرقى جيوش عصره وأكثرها تنظيما . وانطلق يوسف يفتح مدن المغرب واحدة تلو الأخرى فسقطت فى يده العاصمة القديمة « **فاس** » ثم سقطت « **مكناس** » وسائر المدن ، وانطلق

يوسف ينظم دولته ويدون دواوينها ، كما ضرب العملات باسم الأمير أبى بكر وباسمه ، وأرسل إلى الأندلس وسائر بلاد الإسلام يستقدم أهل الخبرة والمشورة وقادة الجيوش البارعين ليلتحقوا بخدمة دولته وجيشه .

وحين عاد الأمير أبو بكر من الصحراء وشهد براعة يوسف وحسن تدبيره وشواهد اقتداره كزعيم محنك وقائد عسكرى لا يبارى ، آثر الأمير أن ينزل ليوسف عن أعباء الحكم الفعلية إيمانا منه بأن مصلحة الدين والأمة تفرض أن يتولى الحكم أصلح الزعماء وأعظمهم مقدرة ، واختار هذا المسلم الحق أن يعود إلى الصحراء ليواصل العمل فى نشر الإسلام فى قلب إفريقيا ، وهكذا استتب الأمر تماما ليوسف ومضى فى كفاحه وفتوحه حتى استطاع بعد رحلة عشرين عاما كاملة أن يوحد المغرب تحت قيادته ، وشرع من بعدها يعد العدة لنجدة الأندلس .. إلى أن دعوه فلبى أعظم تلبية كما ستوضح لنا ذلك وقائع معركة الزلاقة .

ومد الله فى عمر يوسف قرنا كاملاً من الزمان قضاه فى الجهاد وبناء صرح الدولة المرابطية ، وقبل أن يرحل عن عالمنا استخلف ولده « **أبى الحسن على** » فى زعامة المرابطين . وقد توفى بقصره بمراكش فى أول محرم عام ٥٠٠ هـ (٢ سبتمبر ١١٠٦ م) بعد مرض عضال ، وحين وصل خبر وفاة هذا القطب الإسلامى العظيم إلى الإسكندرية كان إمام علماء العصر « **أبو حامد الغزالى** » بالمدينة فى طريقه إلى المغرب لزيارة أمير المسلمين ، فلما بلغه الخبر المؤسف عاد من حيث أتى وهو يغالب الحزن على فقيد الإسلام الكبير .. رحم الله أمير المسلمين وجعل مثواه الجنة .

صفات يوسف بن تاشفين وأخلاقه :

□ **الدأب على الجهاد** : وهو الرجل الذى قضى أكثر من ثمانين عاما – منذ بكرة شبابه – فى جهاد متصل لا يكل منه ولا يمل .. لقد كان رجلاً خلقه الجهاد والغزو فى سبيل الله ونصرة الدين ! ..

□ **الشجاعة** : كان شجاعاً فائق الجسارة لا يهاب حياض الموت « **ميادين الحروب** » ، لكنه مع ذلك كان يكره الحرب ولا يخوضها إلا اضطراراً بعد أن تفشل مساعى السلام وأساليب الحسنى ..

□ **الصبر والتروى** : ويتجلى ذلك فى موقفه من الأندلس حين ظل يرقب الأحوال والتطورات ويرسل عيونه لدراسة الأندلس على أرض الواقع حتى إذا أزفت ساعة الجهاد وانتقل بجنده إلى الأندلس لا تعوزه عندئذ الخبرة بدروبها ومسالكها وميادين القتال فيها ..

□ **المشورة** : كان لا يبرم أمراً إلا بعد استشارة الفقهاء الورعين ، وكان ينزل على رأيهم ، إيماناً منه بأن ما يتناقض مع دين الله لا يمكن أبداً أن يكون سبيلا للنجاح وتحقيق المغانم حتى لو بدا الأمر خلاف ذلك .

□ **الذكاء المفرط وبعد النظر** : وهو الأمر الذى يتجلى فى براعته فى تنظيم دولته وإحكامه لخططه الحربية وتحسبه الناجح للكثير من الأخطار وعواقب الأمور .

□ **التواضع** : وهو فضيلته الكبرى بعد خلق الجهاد ؛ وقد أشرنا إلى مشاركته فى بناء مراكش وحمله الأحجار كأنه واحد من الفعلة ، كما أنه كان رجلا بسيطا فى ملبسه ومأكله ونمط حياته وبعيدا كل البعد عن ترف الملوك مع أنه كان يملك امبراطورية واسعة كانت تكفل تلبية كل مطالبه الدنيوية لو أراد ! ..

□ **الحرص على الوحدة الإسلامية** : إذ رفض أن يلقب بأمير المؤمنين واكتفى بأن يكون لقبه فى المكاتبات وخطب المنابر « **أمير المسلمين** » تأكيدا منه على ولائه لمن يدعى بأمير المؤمنين وهو الخليفة العباسى فى بغداد وحرصا منه على وحدة الصف الإسلامى حتى ولو من الناحية الشكلية لأنها تكون ذات معنى لدى الأعداء .

س **هذا عن « يوسف بن تاشفين » زعيم البربر الملثمين وقائد المرابطين ولكن من هم « البربر » ؟ ومن هم « الملثمون » ؟ ومن هم « المرابطون » ؟**

ج : **البربر** : شعب تجمعنا به أخوة الإسلام ينتشر فى بلدان المغرب العربى وبعض البلدان الإفريقية القريبة ، وكان فى الأصل شعباً بدوياً يتشابه مع العرب فى الكثير من الصفات ويتحدث بلغات ولهجات حامية[10]. وكان للبربر إسهام عظيم فى فتح الأندلس، وينتمى إليهم القائد الفاتح « **طارق بن زياد** » . وينقسم البربر إلى قسمين رئسيين : « **البُتْر** »و « **البرانس** » وهاتان التسميتان مشتقتان من الزى الذى يرتدونه ؛ فزى البُتر يفتقر إلى بُرنُس الرأس ، وزى البرانس مزود ببرنس . وينقسم كل قسم منهما إلى مجموعة من القبائل .

والبربر يطلقون على أنفسهم اسم « **أمازيغ** » أما تسمية « **البربر** » فقد انتقلت إلى العربية من اللاتينية « **لغة الرومان** » ؛ إذ كان الرومان يطلقون هذا الاسم على كل الشعوب الأخرى باستثناء

(١٠) اللغات الحامية مجموعة من اللغات ذات صلة وثيقة باللغات السامية التى منها اللغة العربية .

شعوب الحضارات مثل اليونان والمصريين والأشوريين والقرطاجنيين وشعوب سوريا وفلسطين ..

وهناك تفسير آخر للتسمية يقول إن العرب الفاتحين سمعوا كلام البربر فلم يفهموه فأطلقوا عليهم « **بربر** » لأن « **البربرة** » فى لغتنا أصلا هى الكلام غير المفهوم .

الملثمون : الملثمون طائفة من البربر تضم العديد من القبائل منها لمتونة « **قبيلة يوسف بن تاشفين** » وجدالة ولمطة ومسوقة .. إلخ . ويمتد موطنهم من غدامس بليبيا إلى مصب نهر السنغال على المحيط الأطلسى ويتعمق فى قلب الصحراء الكبرى . ويطلق عليهم اسم الملثمين لكونهم يغطون الوجه بلثام يرتدونه ليلا ونهاراً ، لأن الوجه عندهم عورة لا يصح إظهاره ؛ وربما كان اللثام قد اتخذ أصلا كوسيلة لاتقاء حرارة الصحراء وبردهاوغبارها ثم ارتبطت به بعض الأعراف والتقاليد التى حتمت وضعه بصفة مستمرة . ويطلق على الملثمين الآن اسم « **الطوارق** » .

ويمتاز الملثمون بالقوام السمهرى وبالشجاعة الفائقة والطباع المستقيمة المتفقة مع الفطرة السليمة . وقد قاوموا الفتح الإسلامى بقوة وشراسة أول الأمر ، ثم بعد أن عرفوا الإسلام عن قرب وأدركوا ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق أقبلواعلى اعتناقه وأخلصوا له وصاروا جنوده الأوفياء .

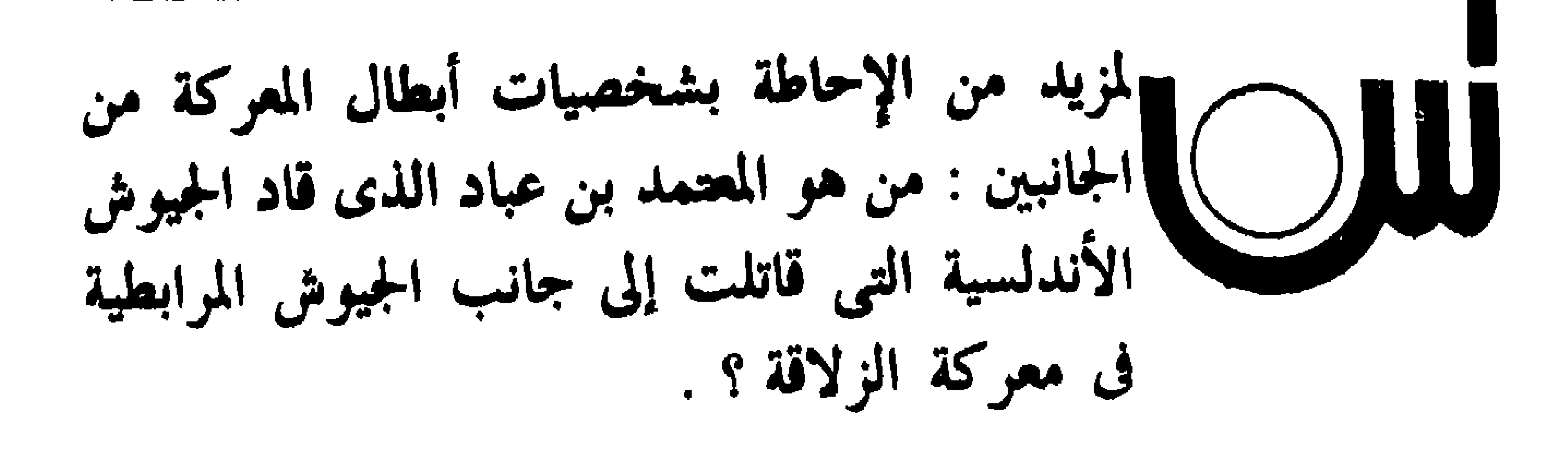
المرابطون : يدعونا كتاب الله العزيز إلى الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق ، ويدعونا الرسول الكريم – ﷺ – إلى الالتزام برباط الإسلام والتهيؤ لرد غارات الأعداء ومحاولاتهم النيل من العقيدة . ففكرة « **الرباط** » فكرة قديمة وأصيلة فى ديننا الحنيف ، وقد عرفت بلدان المغرب بعد الفتح الإسلامى الكثير من الأربطة التى نظمها بعض

عباد الله المخلصين من أجل نشر الدعوة الإسلامية أو من أجل الانقطاع للعبادة ومدافعة الأعداء . وظلت الأربطة على هذه الصورة البسيطة دون أن تتحول إلى دعوة شاملة لها منهجها الخاص وأهدافها الدينية والسياسية البعيدة المدى ، حتى جاء يوم دعا فيه أحد زعماء المرابطين فقيها يدعى « **عبد الله بن ياسين** » ليقيم فى موطن الملثمين بالصحراء ويفقههم فى القرآن وشرائع الإسلام ؛ وقد أقبل الشيخ على أداء هذا الدور بهمة مجاهد عظيم ، ومضى يطبق منهج الإسلام فى جميع شئون الدنيا والدين ، وراح يساوى بين الناس جميعاً نبلاء وعبيداً مما أغضب عليه الأثرياء فتعرضوا له بالأذى وحاربوا دعوته ، بينما التف حوله عامة الناس خاصة العبيد والمستضعفين وأعاد الإمام عبد الله بن ياسين التفكير فى أمره وأمر أتباعه وما آل إليه حالهم على أيدى أعداء الحق ، فتأكد له أن أسلوب المسالمة واحتمال الأذى لا يفيد فى مواجهة الأشرار الأقوياء ، وخلص إلى أن نصرة الدين تتطلب جماعة قوية تحمى العقيدة وتصون ما تدعو إليه من تعاليم . واستقر رأيه على اتخاذ رباط للتقوى به ولتشجيع الناس على الجهاد ، وعرض الأمر على زعيم الملثمين فأيد الفكرة واختارا معاً جزيرة فى مصب نهر السنغال أقاما بها الرباط ، وجعل عبد الله بن ياسين من خصائص رباطه أمرين ، **الأول** : الالتزام الصارم بنظام الرباط ومنهجه ، **والثانى** : التدريب على القتال .. أى أن رباط عبد الله بن ياسين كانت تغلب عليه الصبغة العسكرية . وبدأ الملثمون يتوافدون من شتى الأنحاء للانخراط فى الرباط ، وكان يتخير منهم من يرى فيه الإخلاص للإسلام وصدق العزم على الجهاد . وحين تخطى عدد المرابطين ثلاثة آلاف رجل عين الإمام ابن ياسين لهم قائداً للجيش . وبعد ذلك أرسل الإمام إلى الشعوب والقبائل المجاورة يدعوها إلى الإسلام بالحسنى والكلمة الطيبة ؛ وكان من هؤلاء أهل غانة « **غانا** » الذين أساءوا الرد وقتلوا الرسل دعاة الحق غدراً وغيلة ،

فأعلن ابن ياسين عليهم الحرب ونادى فى المرابطين بالجهاد فلبوا النداء وغزوا أهل غانة غزوة ظافرة وحققوا انتصارا مدوياً أسفر عن تقاطر أفواج الملثمين رغبة فى الجهاد والانضمام إلى المرابطين . وتوالت الانتصارات والفتوح وتنامت دولة المرابطين على النحو الذى أشرنا إليه ، وانتقلت القيادة إلى **يوسف بن تاشفين** فأجاد تدبير شئون المرابطين ونمت حركتهم فى عهده نموا عظيماً مع احتفاظها بنهجها الإسلامى الجهادى القويم ، وشيئاً فشيئاً تحولت دولتهم إلى إمبراطورية واسعة عظيمة الشأن .

وإذا تغاضينا عن التسميات فقد عرف تاريخنا الإسلامى حركة الرباط والاعتصام بحبل الله أكثر من مرة ، منها مرتان شهدتهما جزيرة العرب :

الأولى : هى « **رباط المهاجرين والأنصار** » بقيادة رسول الله – ﷺ – فى المدينة المنورة ، **والثانية** : عُرِفَت فى القرن الثامن عشر حين ظهرت الحركة الوهابية فى المملكة العربية السعودة بقيادة الإمام « **محمد بن عبد الوهاب** » – الذى تنسب إليه الحركة – والإمام « **محمد بن سعود** » وأسفرت عن توحيد المملكة فى القرن الثامن عشر (وهو التوحيد الأول قبل أن يعيد المجاهد عبد العزيز بن سعود توحيدها فى عشرينيات القرن الحالى) .



لمزيد من الإحاطة بشخصيات أبطال المعركة من الجانبين : من هو المعتمد بن عباد الذى قاد الجيوش الأندلسية التى قاتلت إلى جانب الجيوش المرابطية فى معركة الزلاقة ؟ .

ج : المعتمد بن عباد هو « **أبو القاسم محمد بن عباد** » ملك **أشبيلية** لمدة ثلاثة وعشرين عاما فى الفترة من ٤٦١ - ٤٨٤ هـ ، و « **المعتمد** » هو لقبه . وينتمى المعتمد إلى أسرة « **بنى عباد** » العريقة فى حسبها ونسبها حيث تمتد جذورها إلى أسرة « **المناذرة** » اللخميين ملوك الحيرة المشهورين ؛ وقد وفد الجد الأكبر لبنى عباد « **نعيم** » وابنه « **عطّاف** » من « **العريش** » إلى الأندلس فى عهد خلافة بنى أمية عليها ، وعقب انهيار الدولة الأموية وتفتتها أسس القاضى « **أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد** » جد المعتمد ملكا له فى أشبيلية عام ٤١٤ هـ وكان شاعراً وسياسيا قديرا ، ثم تولى ابنه « **المعتضد** » فحكم ٢٨ عاما وسع خلالها المملكة بضم أجزاء أخرى من الأندلس ، وجاء المعتمد ليضم إليها « **قرطبة** » .

وقد اشتهر المعتمد بن عباد بفروسيته وشجاعته وبراعته فى نظم الشعر ، وكانت زوجته « **اعتماد الرميكية** » وبنوه ابنته « **بثينة** » جميعهم من الشعراء المذكورين . ويُحسب للمعتمد استدعاؤه للمرابطين من أجل الذود عن الدين والديار الأندلسية ، وتُحسب له شجاعته وجهاده العظيم فى يوم الزلاقة ؛ لكن يُحسب عليه - والحق يقال - وقوعه فى العديد من الأخطاء السياسية قبل الزلاقة ، ثم وقوعه فى أخطاء أخرى بعدها مما أثار عليه أمير المسلمين واضطره لعزله عن عرشه عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ونفيه إلى « **أغمات** » بالمغرب حيث أمضى ما بقى من حياته فى ضيق من العيش حتى توفى عام ٤٨٨ هـ

(١٠٩٥ م) ، ويوجد قبره بأغمات .

ويجدر بالذكر أن مدينة « **أشبيلية** » الإسبانية المعاصرة قد شهدت بفضل المعتمد عليها ، وقامت عام ١٩٩١ بتخليد ذكرى نفيه عن الأندلس فأقامت له فى حدائق القصر الملكى نصباً تذكارياً عبارة عن عمود من المرمر يحمل الكلمات الإسبانية التالية :

LA CIUDAD DE
SEVILLA
A SU REY POETA
ILMUTA MID IBN ABBAD
EN EL IX CENTENARIO
DE SU DESTIERRO
1 SEPTIE MBRE 1091
RACHAB 384
SEVILLA 1991

وترجمتها كمايلى :

من مدينة أشبيلية
إلى مليكها الشاعر
المعتمد بن عباد
فى الذكرى المئوية التاسعة
لنفيه
١ سبتمبر ١٠٩١
رجب ٣٨٤[11]
أشبيلية فى ١٩٩١

(١١) العام الهجرى المدون على النصب التذكارى باعتباره عام نفى المعتمد هو عام ٣٨٤ هـ ، وهذا خطأ لأن العام الصحيح هو ٤٨٤ هـ .

س : ومن هو ذلك المدعو « السيد القمبيطور » الذى ارتبط اسمه بألفونسو السادس وببعض ملوك الطوائف وبمأساة بلنسية ؟

ج : هذا هو « **نذل الأنذال** » وأخطر سفاح ولغ فى دماء مسلمى الأندلس ، واسمه الأصلى هو « **رودريجو دياز دى فيفار** **Rodrigo Diàz de Vivar** » وقد حور اللسان العربى اسمه إلى « **لُذَريق البيفارى** » ، فقد اعتاد الأندلسيون تحوير « **رودريجو** » إلى « **لذريق** » ، أما لفظة « **البيفارى** » فمنسوبة إلى قصره المعروف باسم « **بيفار** » أو « **فيفار** » وبرغم كل هذه التفاصيل فهو لم يشتهر بهذا الاسم بل يشار إليه عادة فى المصادر العربية والغربية بلقبه « **السيد** **El Cid** » الذى أطلقه عليه الأندلسيون ، كما يشار إليه أيضاً بلقب « **القمبيطور** » وهو تحوير عربى للفظ « **الكمبيادور** **El Campeador** » ومعناه « **البطل** » أو « **المبارز** » . لكن غالبا ما يشار إليه فى المراجع العربية بالاسم المزدوج « **السيد القمبيطور** ».. لعنة الله عليه وعلى اسمه رمز الخسة والإجرام ! ..

ولد لذريق « **رودريجو** » حوالى عام ١٠٤٠ م وانتقل إلى جهنم غير مأسوف عليه عام ١٠٩٩ م ، وبين هذين العامين عاش ليرتكب سلسلة متصلة الحلقات من أعمال الغش والخداع والخيانة والجور والطغيان زينها بخلفية من اللون الأحمر .. لون الدماء النازفة من المذابح التى ارتكبها فى حق المسلمين فى بداية حياته العسكرية عين لذريق قائدا لجنود قشتالة ، وساعد سانخو « **شانجة** » ملك قشتالة على قهر أخيه **ألفونسو** بحيلة خسيسة غادرة ، وبعد مقتل سانخو التحق بخدمة ألفونسو الذى خلفه على عرش قشتالة .

وبعد أن عفا ألفونسو عن لذريق وزوجه ابنة عمه ، انقلب عليه مرة أخرى عام ١٠٨١ م ونفاه من قشتالة فخرج مع مجموعة من ضباطه وجنوده منهم « **البرهانس** » أو « **الفارفانز** » الذى يرد اسمه كثيرا فى حروب الأندلس كأحد قادة الجيوش الإسبانية . وبنفيه من قشتالة لجأ لذريق أو « **السيد القمبيطور** » إلى التعيش من سيفه باحتراف مهنة « **المرتزقة** » أى الخدمة العسكرية مقابل أجر ، وبدأ العمل فى جيش « **المقتدر** » حاكم **سرقسطة** المسلم .. وقام لحسابه بغارات على أرغونة « **أراجون** » وبرشلونة المسيحيتين دون أن يشعر بأى خجل لمحاربته قومه ؛ وظل هذا دأبه « **يعمل لمن يدفع** » ثم يترك من يدفع ليعمل لمن يدفع أكثر ، ويحارب المسيحيين تارة والمسلمين تارة أخرى دون أن يرعى عهداً ولا ذمة أو يشعر بأى انتماء .

وكبرى جرائم السيد القمبيطور هى المذبحة الوحشية البشعة التى ارتكبها فى حق سكان **بلنسية** ؛ إذ استأجره حاكمها **يحيى بن ذى النون** الملقب **بالقادر** ليُخْضِع له بعض أتباعه وعقد معه ميثاقاً أباح له أن يتخذ بلنسية مقراً له وأن يبيع بأسواقها ما يغنمه فى حملاته على البلاد المجاورة التى اتسمت بطابع النهب واللصوصية وارتكاب أفحش الجرائم . وفى عام ١٠٨٩ م عاد **ألفونسو** فعفا عن **القمبيطور** وأقره على جميع ما استولى عليه فى غزواته ، لكنه رجع إلى الشك فيه من جديد ، وهذا حال اللصوص دائماً لا يأمن بعضهم لبعض أبداً !. وانتهز **ألفونسو** فرصة غياب **القمبيطور** فى الشمال فأسرع إلى بلنسية يحاصرها محاولا الاستيلاء عليها ؛ فثار القمبيطور ثورة شديدة وأخذ يشن غارات انتقامية على البلاد الواقعة فى حوزة ألفونسو ويُعمل فيها السيف والنار ، مما اضطر ألفونسو لرفع الحصار عن بلنسية إنقاذا لمملكته . وعاد القمبيطور إلى بلنسية ليجد أن أهلها قد أغلقوا أبوابها فى وجهه ، فانقلب يحاصرها ذلك الحصار الوحشى الذى قل أن

نكبت بمثله مدينة على مر التاريخ .. ولبث الحصار تسعة أشهر اشتد خلالها بالبلنسيين الجوع والظمأ مما أحالهم إلى أشباح هزيلة ، واضطروا إلى أكل الكلاب والفئران وكل ما يمكن مضغه ، وكلما وثب أحد السكان من على الأسوار بحثا عن غذاء فإما أن يذبحه أتباع القمبيطور على الفور أو يبيعوه فى أسواق النخاسة ، وأحرق هؤلاء الكلاب خلقا كثيراً من مسلمى بلنسية الشهيرة . وحين سلمت المدينة أعمل القمبيطور السيوف فى رقاب أهلها وطرد منهم أعدادًا كبيرة ليخلى منازلهم لأتباعه القشتاليين ، ونكث بكل عهوده وأحرق حاكم المدينة وبعض فقهائها ، ونصب نفسه ملكا على بلنسية وفرض إتاوات فادحة على البلاد المجاورة وبلغ منه الغرور كل مبلغ فراح يتصور أنه سيغزو كل الأندلس ويستولى عليها من المسلمين ، وكان يقول فى ذلك : « **لذريق خسر إسبانيا**[١٢]**، ولذريق آخر سيستعيدها** » . لكن الجيوش المرابطية المنصورة كانت له بالمرصاد وجاهزة لإحباط كل آماله ، إذا أصابت أولا ولده ووريثه الوحيد « **دييجو** » فى معركة « **كونسويجرا** » إصابة لم تلبث أن أزهقت روحه وجعلت مثواها جهنم ، ثم أوقع المرابطيون بالقمبيطور نفسه هزيمة ثقيلة ملأت نفسه ألما وحسرة ، فثقل عليه الهم والغم حتى مات من فرط الكمد فى يوليه من عام ٤٩٣ هـ (١٠٩٩ م) .. فتنفس الأندلسيون الصعداء وأشرقت صفحات التاريخ لهلاك سفاح بلنسية ، وتلألأت النفوس بفرحة استحقها النذل بجدارة لفرط ما بدر منه من حقارة . وأخيرا استكلمت القوات المرابطية أداء واجبها فتحررت بلنسية عام ٤٩٥هـ (١١٠٢ م) وعادت إلى حضن أمتها الإسلامية الحبيبة .

---

(١٢) يقصد لذريق « **رودريجو** » زعيم القوط الذى هزمه طارق بن زياد فى معارك فتح الأندلس .

س: نعود إلى معركة النصر : كيف انتقلت القوات المرابطية من إفريقيا إلى أرض الأندلس ؟

ج : بعد أن فرغ أمير المسلمين من استعداداته وتهيئة حشوده وترتيب متطلباتها من « **مهمات** » و« **أسلحة وذخائر** » ، أرسل إلى حاكم ثغر « **سبتة** » يستأذنه فى انتقال الجيوش لتعبر مضيق جبل طارق انطلاقا من هذا الثغر ؛ لكن الحاكم المستضعف تمنع وساق أعذاراً واهية ، فبادر أمير المسلمين بالشكوى منه إلى فقهاء الإسلام – الذين كان لا يبرم أمرا إلا بمشورتهم لئلا يخرج على الشريعة الغراء – فأفتوه جميعاً بوجوب انفاذ خطة نجدة الأندلس رغم أنف حاكم سبتة ، ووافقهم على ذلك قضاة بعثة الأندلس . وجرى إخطار المعتمد بن عباد بالأمر فأرسل أسطوله إلى سبتة يؤمنها للمرابطين ، ومن ثم أصبح الأسطول والثغر فى خدمة « **المجهود الحربى** » كواسطة لنقل المجاهدين البواسل إلى أرض الأندلس .

واحتشدت القوات المرابطية على الشاطىء المغربى ومعها عتادها وذخائرها ، وفى موعد محدد عينه أمير المسلمين انطلقت السفن الحاملة للجيش تعبر المضيق وعلى رأسها بطل من أبرز قادة المرابطين هو « **داود بن عائشة** » وانتقلوا فى وثبة بحرية سريعة إلى الجزيرة الخضراء قرب الساحل الأندلسى فصارت الجزيرة قاعدة عسكرية رئيسية تتجمع بها قوات النجدة المرابطية استعداداً ليوم الزحف والنصر المبين .. وأخيرا عبر بطلنا العظيم « **يوسف بن تاشفين** » بعد أن اطمأن إلى عبور جميع قواته .

وعلى أرض « **الجزيرة الخضراء** » تجمع الأندلسيون المتلهفون إلى ساعة النصر وعودة زمان العز ، وراحوا يحتفون بالزعيم المرابطى وصحبة المغاوير ، وأخذوا يجلبون ما عندهم من الأقوات وصنوف الضيافة وهم فى حالة من الفرح الغامر والاستبشار العظيم .. ومن العجيب أن روح الجهاد التى لاح فى وقت سابق أن مسلمى الأندلس قد فقدوها عادت فى ذلك اليوم حارة مستعرة ، فأقبل الرجال من كل حدب وصوب على التطوع مع جيش يوسف ومع الجيش الأندلسى وعلت أصواتهم بالحمد والتكبير .. ويبدو أن الأندلسيين كانوا فقط بحاجة إلى قيادة عظيمة تضرب لهم المثل الأعلى فى ميادين البطولة والفداء ، ووجدوا ضالتهم فى أمير المسلمين ! ..

س : كيف تصرف ألفونسو من أجل مواجهة القوة المرابطية العظمى التى علم أنها ستقاتله على أرض الأندلس ؟ وماذا كان رد فعله حين بلغته أنباء وصولهم وزحفهم الجبار إلى ميدان القتال ؟ .

ج : حين تأكد **ألفونسو** من استجابة زعيم المرابطين لنداء الواجب ، عظم فزعه وشعوره بالخطر وتحول هو والزعماء الإسبان الآخرون إلى الدول الأوروبية المجاورة يستغيثون بها وينادون حكامها بأن لحظة وقوف أوروبا صفا واحداً أمام المسلمين قد حانت . ومضى النفير الإسبانى يُدَوِّى فى كل مكان مستدعياً الرجال ، فأقبل المدد من داخل إسبانيا من قشتالة وأرجونة وغاليسية وبسقونية وأشتورية ، وتدفق المتطوعون والمرتزقة من إيطاليا وفرنسا وبورجوندى ومن بلاد أوروبية أخرى .. وكانوا جميعاً يرنون إلى سراب هزيمة المسلمين وتبدبد شملهم !..

وحين طار الجواسيس إلى ألفونسو بأنباء العبور المرابطى العظيم ووصول كتائب الروع الإفريقية إلى بر الأندلس ، كان الشرير الذى لا يكف عن أذى المسلمين يحاصر فى ذلك الوقت « **سرقسطة** » المسلمة ، فلما سمع الأنباء طارت نفسه شعاعا و لم يجد مفرا من إنهاء الحصار والانسحاب بجيشه ليستعد لملاقاة المرابطين مع الجيوش الإسبانية والأوروبية الأخرى التى كانت تخترق دروب الشمال الإسبانى وتتجه جنوبا لملاقاة جموع المسلمين . لكن نفس ألفونسو الخبيثة وطبيعته الانتهازية أمليا عليه أن يحقق مغنما قبل الانسحاب ، فأرسل رسله إلى « **المستعين بن هود** » حاكم **سرقسطة** يعرض عليه إنهاء الحصار مقابل مبلغ كبير من المال يدفعه ابن هود ، لكن الحاكم المسلم كان قد علم بطريقة ما بوصول المرابطين وأيقن أن ألفونسو ليس أمامه سوى الانسحاب بأقصى سرعة فأبى أن يدفع شيئاً ورد رُسُل ألفونسو بكلمات ساخرة أحرقت أفئدتهم !! ..



متى وقعت معركة الزلاقة بالتحديد ؟.

ج : وقعت صبيحة يوم الجمعة ١٢ من رجب لعام ٤٧٩ هـ الموافق ٢٣ أكتوبر لعام ١٠٨٦ م .

س : وأين جرت المعركة بالضبط ؟ ولماذا يطلق عليها هذا الاسم ؟ .

ج : جرت فى سهل يقع على ضفاف نهر « **ريوجريرى** » شمال مدينة « **بطليوس** » الأندلسية وبالقرب منها ؛ ويطلق على هذا السهل بالعربية اسم « **فحص الزلاقة** » ومنه اشتق اسم المعركة ، أما اسمه الأسبانى فهو « **ساجراخاس Sagrajas** » . وهو سهل متسع ومؤهل بطبيعته ليكون ميداناً لمعركة عظيمة من نوع المعارك التى كانت تدور فى ذلك العصر ، حيث يتواجه الفرسان وصفوف المشاة وتدور مناورات وحركات التفاف وكر وفر .

س : كيف تجمعت جيوش الإسلام فى ميدان القتال ؟ . وكيف جرى تنظيم المعسكر استعدادا لساعة الصفر ؟

ج : اتجهت القوات المرابطية إلى بطليوس ، وكان يقودها فى المسير البطل « **داود بن عائشة** » . وقد بدا واضحا للعيان ما تتمتع به هذه القوات من انضباط عظيم وحسن تنظيم ، وقد بهر منظرها أعين مسلمى الأندلس فانشرحت صدورهم وأيقنوا أن هذه القوات مدد من الله وأن تباشير نصر مبين قد لاحت فى الأفق القريب ، أما الأعداء الذين أتيح لهم شهود الكتائب المرابطية وهى تتقدم على وقع

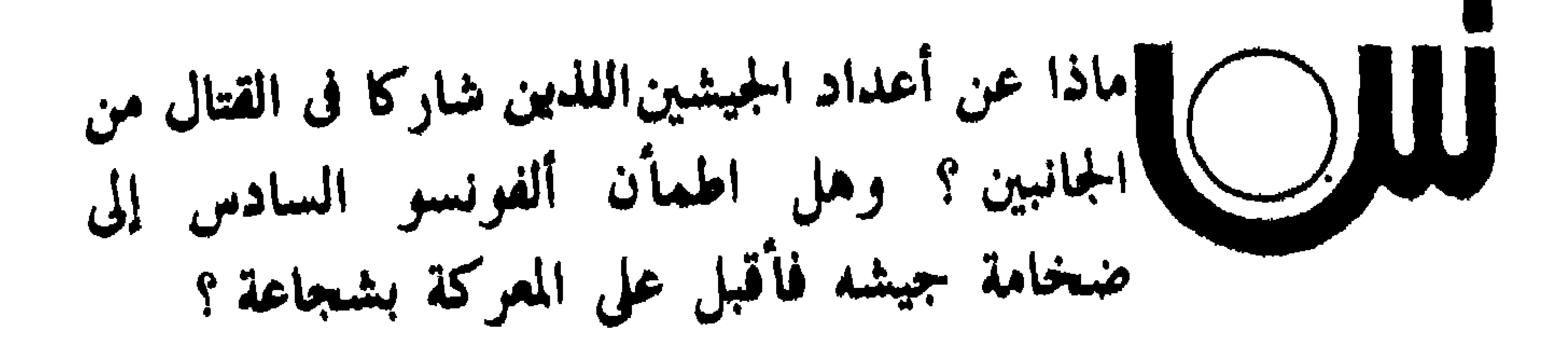
الطبول كأنها أسود إفريقيا ونمورها فقد وجفت قلوبهم وأصابهم كرب عظيم ! ...

وفى الطريق إلى بطليوس انضم إلى المرابطين جيش « **المعتمد بن عباد** » ملك أشبيلية ، وجيش « **المتوكل بن الأفطس** » حاكم بطليوس وجيش « **عبد الله بن بلقين** » حاكم غرناطة ، وكتائب قادمة من قرطبة ومن سائر أنحاء الأندلس ، كما وفد إلى مسرح القتال أيضا متطوعون من شتى بلاد الإسلام . وإحكاما لتنظيم المعسكر الإسلامى قسمه أمير المسلمين إلى معسكرين : معسكر **مرابطى** ومعسكر **أندلسى** .

وكانت معنويات جند الإسلام جميعاً عالية وهاماتهم فى السماء وأرواحهم تتوثب للجهاد ونصرة دين الحق والثأر من ألفونسو وذئابه الوالغة فى الدماء . وكانت سعادة الأندلسيين غامرة بما لمسوه من كرم أخلاق يوسف وحصافته وعظيم صفاته ، وفى ذلك كتب « **ابن بلقين** » حاكم غرناطة يقول :

« .. ولقينا أمير المسلمين فى طريقه إلى بطليوس بجيوشه ، ورأينا من إكرامه لنا وتحفيه بنا ما زادنا ذلك فيه رغبة لو استطعنا أن نمنحه لحومنا فضلا عن أموالنا .. » .

وكان معسكر قوات الإسلام يقع على بعد ثلاثة أميال فقط من معسكر الأعداء .



س: ماذا عن أعداد الجيشين اللذين شاركا فى القتال من الجانبين ؟ وهل اطمأن ألفونسو السادس إلى ضخامة جيشه فأقبل على المعركة بشجاعة ؟

ج : يجمع المؤرخون على أن الجيش الإسلامى كان أقل فى العدد والعُدة من الجيوش الإسبانية الأوروبية ، وتقدر بعض المراجع جيش ألفونسو **بثمانين ألف مقاتل** ، وتصل بعض التقديرات بالفرسان وكتائب النُخبة من المقاتلة المرتدية للدروع والشديدة البأس فى الحرب إلى **أربعين ألف مقاتل** ، وهذا طبعاً عدا الرماة والمشاة وسائر وحدات الجيش .

وكانت القوات الإسبانية والأوروبية المشتركة تصطف على مساحة شاسعة من سهل الزلاقة وتتألق أسلحتها ودروعها فى مشهد مهيب يملأ النفس بالرهبة . وإذا كان لنا أن نسوق فى وصفهم شيئاً من الشعر ، فسنسوق بيت **أبى تمام** الشهير الذى وصف به جحافل الروم حين أقبلت لملاقاة **سيف الدولة الحمدانى** مع تبديل كلمة واحدة لينطبق الوصف على **جيوش ألفونسو** :

أتوك يرتدون الحديد حتى كأنهم ... سروا بجياد مالهن قوائم

إذ كان الفرسان وصفوة الجيش متسربلين بالدروع الحديدية ، وحين رآهم **ألفونسو** وأجال بصره فى مشهدهم البالغ الروعة تبدد خوفه وملأ الغرور جوانحه وأطلق لسانه بكلمة كفر بغيضة قال فيها :

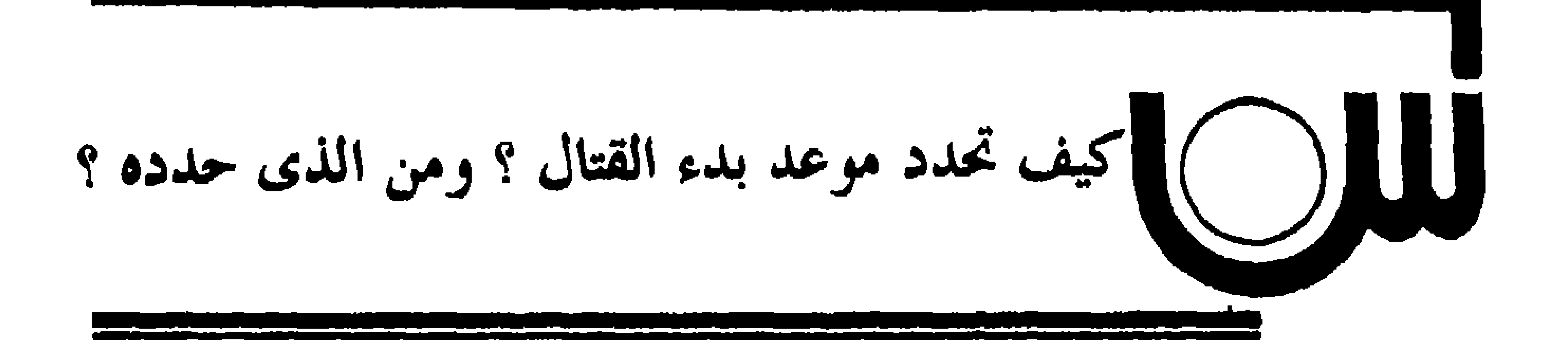
« بهؤلاء أقاتل الجن والإنس و ... ملائكة السماء »

وانتابته نوبة من الشجاعة الحمقاء فطلب كاتبه وأملى عليه رسالة مُسْهبة يصف فيها عظمة جيشه ويتهدد المسلمين بالهزيمة والهوان ، وسارع بإرسالها إلى **زعيم المرابطين** متصوراً أن كلماته الحمقاء ستدخل الفزع فى قلبه . لكن **يوسف** السريع البديهة والمتهيىء دائماً لكل موقف أعاد إلى **ألفونسو** رسالته وقد كتب على ظهرها أوجز وأبلغ رسالة فى التاريخ :

« الذى سيكون ستراه »

وهى رسالة أبلغ ألف مرة وأكثر دلالة على معناها من رسالة **يوليوس قيصر**[13] الشهيرة التى يعتز بها التراث الغربى ، والتى يقول فيها :

« جئت وشاهدت وانتصرت »



س : كيف تحدد موعد بدء القتال ؟ ومن الذى حدده ؟

ج : كان من آداب البطولة وتقاليد الفروسية فى الحروب القديمة أن يتم التفاوض بين قائدى المعسكرين المتحاربين من أجل تحديد موعد بدء القتال بما يناسب الطرفين ، وهذا الموعد متى تم تحديده أصبحت له صفة المعاهدة وصار ملزماً للطرفين بحيث لا يصح أبداً المبادرة بالهجوم قبله . وقد أرسل **ألفونسو** يوم الخميس ١١ من رجب (٢٢ أكتوبر) إلى أمير المسلمين يقترح عليه أن يبدأ القتال يوم الإثنين ١٥ رجب ؛ على أساس أن اليوم التالى (الجمعة) هو يوم المسلمين ، ويوم

(١٣) يوليوس قيصر (١٠٠ – ٤٤ ق . م) : سياسى وقائد عسكرى رومانى شهير .

السبت هو يوم اليهود « **ومنهم عدد كبير فى المعسكرين !** » ، ويوم الأحد هو يوم النصارى ، وعلى ذلك فاليوم المناسب – على حد اقتراح **ألفونسو** – هو يوم الإثنين ١٥ من رجب .. ويالحلاوة كلامك ونعومته أيها الثعبان المدعو **ألفونسو** ! ...

كان أمير المسلمين مستعداً للقبول بهذا الاقتراح إذا أوفى **ألفونسو** بكلمته ، لكن **الأسد الإفريقى** اليقظ لم يغفل احتمال أن يكون الذئب الإسبانى يسوق اقتراحه هذا على سبيل الخداع والتضليل ليأخذ جيش الإسلام على غرة ، فحرص الرجل على الحذر كل الحذر التزاماً منه بالفطرة السليمة وتعاليم الإسلام ، وشدد على عيونه « **رجال الاستطلاع** » بضرورة إحكام رقابتهم على العدو ومتابعة حركاته وسكناته لحظة بلحظة من أجل الوقوف على نواياه الحقيقية .

وحين أقبل الليل فى ذلك اليوم « **الخميس** » ، غفا الفقيه الأندلسى الجليل « **أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى** » فرأى فى منامه **رسول الله** – ﷺ – يبشره بالفتح والشهادة فى صبيحة الغد « **الجمعة** » ؛ فأيقن الفقيه أن الغادر **ألفونسو** سيُبادر إلى الهجوم صبيحة الجمعة ، وأرسل من يخبر أمير المسلمين بالرؤيا ويحذره من غدر **ألفونسو** . وفى نفس الليلة جاء فارسان من طلائع المعتمد **ابن عباد** يخبران القوم أنهما أشرفا على معسكر **ألفونسو** فسمعا ضوضاء الجيش وقعقعات الأسلحة ، ثم توالى رجال الاستطلاع يؤكدون للمعتمد أن الاستعدادات للتحرك والانتشار القتالى تجرى على قدم وساق فى معسكر **ألفونسو** على نحو يدل على أن الهجوم الإسبانى وشيك الحدوث .

وأخيراً جاء الجواسيس بتفاصيل خطة الهجوم من داخل المعسكر الاسبانى ، إذ أفادوا بأنهم استرقوا السمع فسمعوا **الفونسو** يقول لأركان حربه أن **ابن عباد هو** السبب وراء هذه الحرب ، **فهو** الذى جلب الجيوش المرابطية ، وأن **هؤلاء** الصحراويين وإن كانوا محاربين أشداء إلا أنهم يجهلون طبيعة أرض الأندلس وأن **ابن عباد هو** مرشدهم فيها .. ثم أمر رجاله بالهجوم على الأندلسيين بشدة وإلحاق الهزيمة بهم فيهون أمر المرابطين بعد ذلك ..

وقد أخطر المعتمد **بن عباد** أمير المسلمين بخطة **ألفونسو** وأوضح له أنها تقوم على الهجوم على القوات الأندلسية أولا ، فأبلغ أمير المسلمين رسول **ابن عباد** أن القوات المرابطية ستشد أزرهم . وألقى عبقرى الحرب بسلسلة من الأوامر لأحد قادة جيشه وعين له كتيبة يقودها ويخترق بها المعسكر الإسبانى أثناء انشغال قوات **ألفونسو** **بالهجوم على القوات الأندلسية** ليسحق حامية المعسكر ويضرم به النار ..

س **بالشوق واللهفة يجيء دور « أبو الأسئلة » : كيف بدأت العمليات القتالية ؟ وكيف سارت ؟ .**

ج : مع أول ضوء من صبيحة **الجمعة** نكث الذئب الغادر **ألفونسو** بما عاهد عليه ، وبدأ هجومه مستهدفاً تمزيق القوات الأندلسية أولا ثم الانثناء نحو القوات المرابطية وإيقاع الضربات الساحقة بها . وفى هذا الإطار تقدمت القوات **القشتالية** والقوات **الأرجونية** بقياة الجنرال « **البرهانس** » واخترقت صفوف الجيش الأندلسى الذى كان يقوده **المعتمد بن عباد** ، وكانت الهجمة عنيفة بدرجة شتتت جند الأندلس ودفعتهم للتقهقر نحو أسوار **بطليوس** .. إلا أن ملك أشبيلية **ابن عباد** صمد صموداً عظيماً مع خاصة جنوده حتى أثخنه الإسبان بالجراح وأصابوا رأسه بضربة سيف فلقتها حتى صدغيه وجرحوا يده اليمنى وطعنوه فى أحد جانبيه .. وقد هلكت تحت ابن عباد ثلاثة أفراس كان يستبدلها الواحد بعد الآخر ويواصل الضرب يمنا ويسارا وهو يرتجل أشعار الحماسة التى منها قوله :

أبا هاشم هشمتنى الشفار　　ولله صبرى لذلك الأوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج　　فلم يثننى ذكره للفرار[14]

(١٤) كان الملك الشاعر « **ابن عباد** » قد ترك ابنه الصغير « **أبا هاشم** » حين رحل للحرب لذلك فهو يناجيه ذاكرا له أن السيوف قد هشمته وأنه صابر ومحتسب ، وأنه قد تذكر شخصه – أى شخص ولده – وهو يواجه الأهوال فلم تدفعه تلك الذكرى للفرار .

وظل ذلك حتى بادر القائد المرابطى **ابن تاشفين** – الذى لم تكن عينه غافلة عن سير الهجمة الإسبانية الأولى – بدفع هجوم مضاد بقيادة « **داود بن عائشة** » . وقد أفاد هذا الهجوم المضاد فى تخفيف الضغط على **ابن عباد** وتحسين موقفه القتالى ، لكنه لم يفلح تماما فى كسر الهجمة الإسبانية التى شاركت فيها جموع ضخمة من الفرسان ، مما جعل **ابن تاشفين** يدفع بهجوم آخر شنته قوات قبيلتى « **زناتة** » و « **مغراوة** » بقيادة البطل المرابطى الصنديد « **سير بن أبى بكر** » الذى نجح بالفعل فى دحر موجة الهجوم **القشتالية الأرجونية** وبددها تماما . ثم دارت اشتباكات دامية اضطرت **الفونسو** للنزول إلى قلب المعركة بقوات الهجوم الرئيسية .. وقد عادت القوات الأندلسية للاشتباك بعد أن نظمت صفوفها فوجه الإسبان اهتمامهم إليها وشغلوا تماما بمحاولة القضاء عليها ، على حين كان **ابن عباد** يتبع معهم تكتيكات الكر والفر فى تنسيق كامل مع أمير المسلمين وقادة المرابطين .. وتمكن **ابن عباد** فعلا من اجتذاب مقدمة الجيش الإسبانى وهجماتهم الرئيسية نحوه وهو يتظاهر بالتراجع ، وهنا وقعت الصاعقة الكبرى إذ انقض الليث المرابطى بقوات هجومه الرئيسية المتمثلة فى الجنود اللمتونية « **جنود قبيلته لمتونة** » واندفع اندفاعة بارعة وممتدة بلغ بها معسكر الجيوش الإسبانية فأضرم به النار ومزق حاميته ، ثم تابع تقدمه نحو جيش الأعداء من الخلف وحاصر قوات المؤخرة التى وجدت نفسها وسط مثلث فزع عظيم : سيوف إسلامية لمتونية بتارة تحصد هاماتهم ، وطبول تدق بأصوات كأنها انفجارات البراكين ، وألسنة لهب عظيمة تأكل كل ما فى معسكرهم وتدفع نحوهم بسحب دخان تخالطها رائحة الموت ..

وحين ارتد **ألفونسو** لينقذ ماتبقى من معسكره ، وجد مؤخرة الجيش المرابطى له بالمرصاد فدارت معركة شرسة أوقعت بالإسبان خسائر فادحة .. واختل نظام القوات الإسبانية وفقدت ترابطها وتبددت مقدرتها على المناورة واتخاذ المبادرة ، وحاول **ألفونسو** إعادة تنظيم الأنساق القتالية وتعديل خطة المعركة والتحكم فى مجرى القتال من جديد ، لكن مقدرته شلت تماما واضطر لالتزام الدفاع والاقتصار على ردود الأفعال تجاه تكتيكات المرابطين ؛ فى حين راح هؤلاء ينصبون « **سيرك الفنون القتالية** » عارضين لياقاتهم وبراعاتهم ومواصلين حيلهم ومناوراتهم . وفجأة عدل المرابطون أوضاع أنساقهم القتالية وتحولوا إلى القتال فى صفوف متراصة يستحيل اختراقها .. ولما كانت قوات **ألفونسو** قد أضحت مهلهلة متشرذمة فإن الهجوم المرابطى على هذا النحو كان معناه المذبحة الكبرى القاضية التى يتحقق فيها الإجهاز على قطيع من الغنم استعداداً لوليمة عرس عظمى تسعد بأنبائها أمة الإسلام !!..

ومع ذلك بقيت فى جعبة **ابن تاشفين** حركة قتالية أخيرة تمثلت فى اندفاع قوات السودان الغربى « **قوات الأفارقة الزنوج** » إلى قلب المعركة فى انقضاضة **نيزكية** جبارة كانت مسك الختام إذ أسفرت عن الإجهاز على أكبر عدد من ذئاب الشمال الإسبانى التى تحولت فى واقع الأمر إلى فرائس منتحبة عديمة الحيلة بين براثن وأنياب سباع إفريقيا .. وفى هذا الهجوم الأخير سحقت صفوة الجيوش **القشتالية** ومنها حرس **ألفونسو** الخاص ؛ فقد تداولتهم أسنة الرماح الإفريقية بالطعان المتواصل كما تتداول أرجل اللاعبين الكرة ، فسقط منهم من كان على موعد مع المنية وهرب الباقون مثخنين بالجراح .. وكان من بين الجرحى **ألفونسو** نفسه الذى أصيب بطعنة رمح فى إحدى ركبتيه

أثرت على حركته مابقى له من العمر ، فأسرع الذئب المتبجح بالفرار من الميدان فى خمسمائة من فرسانه تتقاطر منهم جميعاً الدماء بعد أن فرت رماح السودان لحومهم ، وهكذا نالوا « **العلقة الساخنة** » و « **الطريحة الفاخرة** » وأشبع أبطال الجهاد مقعداتهم ركلا وأقفيتهم صفعاً جزاء ما وجهوه إلى دين الله من إهانات .. **فيالعظمة** النصر الإسلامى فيك يايوم **الزلاقة** المجيد ! ويالعزك ومجدك دائماً وأبداً أيها الدين الحنيف ! ويالبسالة جندك المرابطين الغُر الميامين ! .. لقد دخل **ألفونسو السادس** سهل الزلاقة منتفخاً متبجحاً يحاكى فى صولته الببر الهائج ، وهرب منه فأراً مدحوراً مذعوراً يسعى إلى الإفلات من ضربات براثن ضرغام الإسلام الغاضب ..

وحتى اليوم ما زالت أرض المعركة فى سهل الزلاقة زاخرة بآثار القتال العظيم متمثلة فى أعداد كبيرة من الأسهم باقية تحت طبقة التربة السطحية ! .. فإذا ما ذهبت يوماً إلى إسبانيا أيها **القارىء العزيز** ، اقصد من فضلك سهل **الزلاقة** قرب **بطليوس** (**بادخواس Badajos**) وحرك الرمال قليلا هنا وهناك لعلك تظفر بسهم مرابطى تحفظه – كما فعل الأستاذ **محمد عبدالله عنان مؤرخ الأندلس** – تذكاراً عزيزاً للمعركة الخالدة .

س

هل يمكن المقارنة بين أسلوبى القتال والمهارات الحربية فى الجانبين ؟

ج : إذا كان لنا أن نستخدم مصطلحات علم « **الميكانيكا** » فيمكننا القول بأن أسلوب القتال الإسبانى كان « **استاتيكيا متخلفا** » وأسلوب القتال المرابطى كان « **ديناميكيا متقدماً** » ، ونشرح ذلك فنقول أن القوة الأساسية الفعالة فى الجيش الإسبانى كانت تتكون من فرسان يرتدون دروعاً حديدية تغطى معظم أجزاء الجسم : خوذات للرأس وألواح حديدية لحماية الصدر والكتفين والذراعين والأرجل .. ومن ثم فقد كان الفارس الإسبانى ثقيلا بطىء الحركة وغير قادر على أداء الحركات الصعبة والتنقلات السريعة المرنة ، وانعكس هذا على التشكيلات « **المجموعات القتالية** » التى أضحت عاجزة عن المناورة وأداء حركات الالتفاف السريع والانسياب من موقع إلى آخر لحصار الخصم وضربه فى مواضع الضعف وحيثما يختل نظامه .. والمحصلة النهائية أن الخيالة الإسبان فقدوا ميزتهم كفرسان « **السرعة والمرونة والبراعة فى المناورة** » وتحولوا إلى مجرد « **قصابين** » لابد أن يجىء الخصم فى متناولهم فيعملون فيه أسلحتهم ، ولما كان خصمهم عسير المنال وبارعا فى الانفلات والانقضاض فإن الخيالة الإسبان — من الناحية العملية — صاروا هم الذبائح لا القصابين ودون أن تسدى دروعهم نفعاً فى مواجهة مزاريق المرابطين وسيوفهم ..

أما فى الجانب الإسلامى فكان الحال على عكس ذلك ؛ **فأولا** كانت هناك تشكيلات عسكرية متنوعة ذات تخصصات مختلفة جاهزة لأداء كل أنواع المهام تبعاً لما يراه القادة الميدانيون ، وثانياً لم تكن هذه القوات مثقلة بالأسلحة والدروع مما أعطاها ميزة سرعة الحركة ومرونة الانتقال من وضع قتالى لوضع قتالى آخر حسب تطورات المعركة .. كان جند المرابطين والأندلسيين فى واقع الأمر فهوداً رشيقة بينما كان جند الإسبان أقرب إلى « **المتاريس** »[١٥] منهم إلى الجنود، وكان زعماؤهم أقرب إلى « **الترابيس** » منهم إلى القادة المفكرين !! .

وقد تمتعت القيادة المرابطية بميزة التجديد والابتكار مما أتاح لها استعمال حيل حربية جديدة لم يشهدها الإسبان فى حروبهم مع الأندلسيين ، ومن هذه الحيل ما يلى :

□ **متراس**[١٦] **الإبل** : استخدم المرابطون فى هجماتهم الأولى صفا من الإبل يتقدم قواتهم فيقيها من أسلحة الأعداء . ومن ناحية أخرى كان متراس الإبل يثير فزع خيل العدو فتجفل وتضطرب صفوف الفرسان فتفشل مناوراتهم وتخيب هجماتهم .

□ **الطبول المغربية المدوية** : جيوش المغرب مشهود لها – **وإلى يومنا هذا** – بالبراعة فى استخدام الطبول كأداة لتحقيق الانضباط العسكرى ولرفع معنويات الجنود وإثارة الرعب والفزع فى قلوب الأعداء . وقد استخدمت الجيوش المرابطية فى يوم **الزلاقة** طبولا عظيمة صمت الآذان بدويها الهادر المزعج وأثارت هلع خيل الإسبان وأوقعت الاضطراب فى صفوف فرسانهم ..

---

(١٥) ، (١٦) « المتاريس » مفرده « متراس » وهى التحصينات المستخدمة فى توقى أسلحة الأعداء كحوائط الصد والاستحكامات الدفاعية التى تعوق تقدم قوات العدو .

س ماهى النتائج التى أسفرت عنها معركة الزلاقة ؟

ج : أفضت الهزيمة الساحقة التى أصابت الجيوش الإسبانية إلى خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات ، وكانت لها وطأة اقتصادية كبيرة على بلاد الشمال الإسبانى الفقيرة أصلا نظرا لجدبها وسوء مناخها . وأسقطت الخيبة والفشل هالات البطولة والزعامة التى كانت تحيط **بألفونسو السادس** فانصرف عنه كثير ممن ساروا خلفه فى الماضى مما أدى إلى انفراط عقد التحالف بين حكام أسبانيا . كما أعادت المعركة هيبة المسلمين كاملة فى نفوس الأسبان على نحو أعاق حركة الاسترداد « **الريكونكويستا** » وأبطأها كثيراً بحيث أن سقوط الأندلس بكاملها فى أيدى الأسبان – والذى كان وشيك الحدوث قبل معركة الزلاقة مباشرة – لم يحدث فعلا إلا عام ١٤٩٢ حين سقطت « **غرناطة** » آخر ممالك العرب فى الأندلس ؛ ومن ثم يمكننا القول بأن معركة الزلاقة كان من أهم نتائجها تأجيل موعد ضياع الأندلس المسلمة لما يربو عن أربعة قرون .

على هامش انتصار الزلاقة المبين

س: سبحان الله !.. أليس عجيباً أن ثلاثة من كبار منقذى الأمة الصالحين يحمل كل منهم اسم « يوسف » ؟

ج : الأمر كذلك حقا ، وما من شيء يستكثر على قدرة الله .. فهو منظم القوانين ومهيىء السنن ، وهو مدبر الاحتمالات وباعث الصدف .. وقد خلق الله هؤلاء الصالحين وأعدهم زادا عظيما للأمة فى زمان المحنة وساعة البلاء ..

فهذا أول اليواسف نبى الله **« يوسف الصديق »** أو **« يوسف ابن يعقوب »** سليل نبى الله إبراهيم عليهم أجمعين السلام ، قد أرسله الله منقذاً لمصر من المجاعة وكشف له العيب من خلال حلم فرعون الذى لم يستطع هو ولا حكماء مملكته تأويله ؛ وإنما أوله يوسف بعون الله ، وأدرك من خلاله ما قدره الله على مصر من رخاء تعقبه مجاعة ، ثم أحكم تدبيره وأعد عدته بأن أخذ من سنوات الرخاء خزيناً ومدداً يسد به غائلة الجوع فى السنوات العجاف ، ومن ثم عبر بشعبنا المحنة وكتب الله لنا البقاء على يديه ..

وهذا **ثانى** اليواسف **« ابن تاشفين »** المرابط المجاهد قد بعثه الله على رأس القرن الخامس الهجرى وقد أوشكت الأندلس المسلمة على الضياع فاستنقذها بضرباته الجبارة فى سهل الزلاقة على النحو الذى نعرفه ..

وهذا **ثالث** اليواسف « **يوسف بن أيوب** » الشهير بصلاح الدين الأيوبى ، وقد جاء بعد **ابن تاشفين** على رأس القرن السادس الهجرى ، وعرف بالتقوى والتزام شريعة الإسلام والتحلى بروح الجهاد مثله . وكان صلاح الدين **الرمح الإسلامى العظيم الذى قذف به الله** قلب الاستعمار الصليبى **فأجهز عليه من خلال انتصاره العظيم فى** حطين عام ٥٨٣ هـ (١١٠٦ م) فبدد شمل جموعه وسقاها ذل العار والهزيمة واستنقذ أولى القبلتين من بين براثن **هؤلاء اللصوص فى ٢٧** رجب من ذلك العام .

رضوان الله على هؤلاء الصالحين ودعاء خالصا لوجهه تعالى أن يكثر من أمثالهم فى كل عصر وأوان وأن يجعل صلاح أمرنا وانفراج كرباتنا على أيديهم .

س : هل يمكن اعتبار معركة الزلاقة حربا دينية بين الإسلام والمسيحية ؟

ج : وفقا للمعايير الصحيحة لا يمكن أبدا اعتبارها كذلك ! .. وصحيح أن المسلمين خاضوا تلك الحرب بروح جهادية وبنية الدفاع عن الدين ، وصحيح أن العدو الذى حاربه المسلمون كان ينتسب اسما إلى دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، لكن هذا كله لم يكن كافيا لجعلها حربا دينية بين الإسلام والمسيحية للعديد من الأسباب منها :

☐ أن الإسلام أصلا لا يحارب المسيحية كدين ، لأننا مأمورون بالتسامح مع أهل الكتاب وحسن معاملتهم . والمرابطون والأندلسيون

لم يحاربوا ألفونسو وزبانيته لكونهم « **مسيحيين** » ، بل لكونهم « **مجرمين غادرين ومعتدين على الحرمات** » .

☐ أن ألفونسو المتعطش للدماء وقاتل أخيه لم تكن تهمه المسيحية فى شيء ولم يكن راغباً فى نصرتها – وإن أدعى ذلك – بل كان كل ما يهمه هو تحقيق أطماعه فى الاستيلاء على الأندلس ونهب ثرواتها وتخريب حضارتها الزاهرة وإذلال أهلها المسلمين منهم والمسيحيين (وقد كان بالأندلس حقا اعداد كبيرة من المسيحيين المتحدثين بالعربية الذين سموا بالمستعربين .. وهؤلاء كانوا يعيشون فى أخوة تامة مع المسلمين ويعتزون بالحضارة الإسلامية والثقافة العربية ، ولاشك أنهم كانوا يبغضون ألفونسو الهمجى المتخلف ويفضلون عليه المسلمين) .

☐ ويؤكد ذلك أنه كانت تجىء على الأندلس فترات كثيرة يتحالف فيها المسلمون والمسيحيون ضد مسلمين ومسيحين آخرين ، على نحو لا يدع مجالاً للشك فى أن هذه الحروب كانت حروبا سياسية لادينية .

☐ ويؤكد ذلك أيضا أنه فى الفترات التى كان يغيب فيها السفاحون من أمثال الفونسو السادس كان الصراع السياسى العسكرى يتخذ طابعاً نظيفا تغيب فيه مشاهد الاضطهاد والمجازر وخيانة العهود . ومن أمثلة ذلك الصراع الذى دار بين « **ألفونسو الحادى عشر** » ملك **قشتالة** وبين « **يوسف أبو الحجاج** » ملك **غرناطة**[١٧] عندما قام ألفونسو بفرض الحصار على جبل طارق التابع لغرناطة فاضطر يوسف أبو الحجاج لحمل السلاح كارها وعبأ جيشه لنجدة البلد ، وبينما هو مشغول فى التجهز للحرب جاءت البشارة بأن ألفونسو مات فجأة بالطاعون .. وهنا أبدى يوسف ألمه الشديد لسماع الخبر وقال :

(١٧) من ملوك بنى الأحمر ، وقد تولى عام ١٣٣٣ م وهو الذى أتم بناء قصر الحمراء .

« وا أسفاه .. لقد فقدت الدنيا أميرا من أجل أمرائها وحاكما عرف كيف يكرم أصحاب المذهب أعداء كانوا أم أصدقاء » . وقد شارك الفرسان الغرناطيون أميرهم مشاعره ولبسوا الحداد لموت الفونسو وتعاهدوا على عدم القيام بأى عمل عدائى ضد المسيحيين . وفى يوم رحيل الجيش الإسبانى عن جبل طارق وهو يحمل جثمان مليكه ، توافدت حشود الغرناطيين المسلمين من جبل طارق ، ووقفوا فى صمت يخيم عليهم الأسى وهم يرقبون الموكب الحزين . وأبدى جميع القادة المسلمين على الحدود أمارات الاحترام لفقيد قشتالة وسمحوا للموكب الجنائزى بالمرور فى أمان ، بل وحملوا هم جثمان الملك المسيحى من قرطبة إلى أشبيلية ! .

فهل بعد ذلك كله يمكن الطعن فى تسامح الإسلام أو الاستماع لدعاوى ألفونسو السادس وأمثاله حين يزعمون بأنهم ارتكبوا ما ارتكبوه من أجل نصرة المسيحية ؟ .

س : لاشك أننا جميعاً نتعطش إلى زمان العز والقوة والنصر ، فماذا عسانا أن نفعل لتعود أمتنا إلى ما كانت عليه فى يوم الزهو « يوم الزلاقة المجيد » ؟ .

ج : ما يجب – بل ما يتحتم – علينا أن نفعله هو السعى إلى امتلاك أسباب القوة والنصر ، ونقصد بها الأسباب الحقيقية الدائمة لا مجرد امتلاك السلاح والعتاد . ويتعين علينا أن نعى جيدا أنه ليس بمقدورنا أن نتجاوز الأسباب ونستبق الزمن لنفعل ونحن ما زلنا ضعفاء

ما لا نستطيع أن نفعله إلا ونحن أقوياء .. وإذا لم نستوعب ذلك نكون قد أخطأنا الحساب وعرضنا أنفسنا للفشل وذهاب ريحنا ، بل وخذلنا ديننا ولم ننصره !! .

ومنهج النصر معروف ، وقد علمنا إياه رب العزة سبحانه وتعالى .. وعلينا لكى ندركه أن نسترجع أول أوامره جل جلاله إلينا « **اقرأ** » ، وأن ننعم النظر فى هذا الأمر الصريح لنعلم أنه لا يقتصر على الدعوة إلى تعلم القراءة بمفهومها الضيق ، بل يتضمن دعوة أشمل إلى قراءة أوسع فى كل ما فى الكون « **فى الآفاق وفى أنفسكم** » ، فهى فى الواقع ليست سوى الدعوة إلى العلم ﴿ **اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ صدق الله العظيم ..

وعلينا أن ندرك كل الإدراك أن الطريق المباشر نحو القوة مسدود فى وجهنا ولا يمكننا بلوغ منتهاه لأننا لا نملك مؤهلات القوة الآن ، وإذا أردنا الوصول إليها فليس أمامنا سوى طريق العلم . وهو طريق وعر وطويل ، لكنه يوصلنا حتما إلى أهدافنا شريطة أن نسلكه بحماس وإخلاص ورغبة أكيدة فى اكتساب المعرفة حقا والتبحر فى العلم فعلا دون الاكتفاء – أو دون الانتهاء – بنيل الشهادات والزهو بمناصب الأستاذية الجوفاء ، فالعلم هو أن « **نعرف ونعى قيمة ما نعرف** » لا أن « **نمتلك شهادة ونستند إليها فى ادعاء العلم** » !..

فهل نذعن لأوامر الله تعالى ؟ أم نرفض المنهج الذى رسمه لنا ثم ندعى بعد ذلك أننا ننتصر لدينه ونجاهد فى سبيله ؟ .. هل نضع الحصان قبل العربة لنبلغ أهدافنا ؟ أم نُصر على وضع العربة قبل الحصان ونحن نقسم بأغلظ الأيمان أن وصولنا وشيك ! . والإسلام هو دين العقل ، وعلينا أن نعاود الاستماع لأمر الله الصريح والامتثال له إذا أردنا أن نربح – مرة أخرى – الدنيا والدين معاً ..

ونحن نتساءل : **هل** يمكن أن نشهد منذ الآن ما يحسُن بنا أن نطلق عليه « **الجمعيات العلمية الإسلامية** » التى تقوم على الدعوة إلى التزام قواعد شريعة الإسلام وقصر الجهاد على ميدان العلم سعياً لحوز قصب السبق العلمى ببركة القرآن وباتباع منهجه العظيم ؟ .. وهل يمكن أن نرى الفتية والفتيات بل والصبية الصغار يرتادون بيوت الله ليؤدوا الفرائض ويرتلوا القرآن ثم ينخرطوا فى حلقات علم ينهلون فيها - بشغف وشوق وهواية كأنهم يلعبون - من علوم الرياضيات والكيمياء والطبيعة ، ويتبارون فى حل التمارين والمسائل العلمية ؟ .. وهل يمكن أن تغدو هذه الحلقات والتجمعات العلمية حلبات سباق واختبار لاكتشاف النوابغ والعباقرة الذين هم أثمن كنوز الأمة ورصيدها الحقيقى للمستقبل ؟ لو تحقق ذلك كله فسوف نمضى على الطريق الصحيح وسوف تطمئن نفوسنا ، وسوف نرى فى الأفق قبل أن نغادر هذه الحياة الدنيا بشائر خير عظيم ونستمع على أثير الأمل - بل اليقين - إلى أصوات مجلجلة تهدهد جنبات كوكب الأرض منادية : « **الله أكبر .. الله أكبر .. نصر الله آت والفتح قريب** » .:


طـرائـف
عن الحضارة الإسلامية فى الأندلس

شهود من الغرب على عظمة الحضارة الإسلامية فى الأندلس

المستشرق البريطانى « برنارد لويس Bernard Lewis » :

فى كتابه « **العرب فى التاريخ** » يقول مايلى :

ص ١٢٧ : « أبدى الإسلام فى إسبانيا مشهدا رائعاً ، إذ أثرى العرب حياة شبه الجزيرة فى مجالات كثيرة : ففى الزراعة أدخلوا الرى العلمى وعددا من المحاصيل الجديدة منها الموالح والقطن وقصب السكر والأرز . والتغيرات التى أدخلها العرب على نظام ملكية الأرض كانت السبب الأساسى وراء انتعاش الزراعة الإسبانية تحت الحكم العربى » .

ص ١٣٠ : « ترك العرب بصمتهم على إسبانيا متمثلة فى مهارات المزارع والصانع الحرفى الإسبانى ، وفى الكلمات التى يصفون بها هذه المهارات فى فنون شبه الجزيرة ومعمارها وموسيقاها وأدبها[١٨]، وفى العلوم والفلسفة التى عرفها الغرب فى القرون الوسطى والتى أثروها بنقلهم لتراث الأقدمين الذى صانوه مخلصين وأضافوا إليه » .

المستشرق البريطانى « ستانلى لين - بول » :

فى كتابه الشهير « **قصة العرب فى إسبانيا** » يتحدث المستشرق البريطانى المنصف « **ستانلى لين - بول** » عن نهضة وازدهار قرطبة

---

(١٨) تشير بعض التقديرات إلى أن نسبة الكلمات العربية الأصل فى اللغة الاسبانية تصل إلى ١٧٪ .

فى القرن العاشر الميلادى « **الرابع الهجرى** » ، ويصل فى حديثه إلى موضع يدلى فيه بهذه الشهادة الصريحة :

« .. وإذا لاحظنا أن أسلافنا **الساكسون**[١٩] كانوا فى ذلك العهد يسكنون الأكواخ ويفترشون **القصيل**[٢٠] وأن لغتنا لم تكن تكونت بعد[٢١] وأن القراءة والكتابة كانتا محصورتين فى عدد قليل من الرهبان ، لعرفنا ما كان للعرب من مدنية مدهشة وحضارة منقطعة النظير . وتظهر المقابلة واضحة غريبة بين حاضرة الأندلس وغيرها من المدن إذا ذكرنا أن أوروبا كلها فى هذا العهد كانت غارقة فى الجهالة المفرطة وفظاظة الأخلاق ، وأنها لم يكن بها شىء من آثار المدنية إلا ما بقى للإمبراطورية الرومانية من أطياف فى القسطنطينية وبعض أجزاء إيطاليا » .

أما عن « **قرطبة** » عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس فيقول « **لين – بول** » مايلى :

« واختلف المؤرخون فى مقدار اتساع مساحة المدينة ، والأرجح أن طولها لم يكن يقل عن عشرة أميال ، وكانت شواطىء الوادى الكبير[٢٢] متلألئة بالقصور المبنية بالرخام والمرمر ، وبالمساجد والحدائق التى عنى فيها أشد عناية بالأزهار والأشجار النادرة المجلوبة من الممالك الأخرى ، **وأدخل العرب بالأندلس نظامهم فى الرى الذى لم يصل الإسبانيون إلى مثله من قبل ولا من بعد** » .

---

(١٩) **الساكسون** : قبائل غزت بريطانيا فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين هى وقبائل الأنجل ، وجميعها قدمت من شمال ألمانيا .

(٢٠) التبن .

(٢١) كانت بريطانيا فى ذلك العهد تتحدث اللغة « **الكلتية** » ولهجات جرمانية ، وقد تكونت اللغة الإنجليزية بالتدريج نتيجة لامتزاج عدة لغات .

(٢٢) **الوادى الكبير** أكبر أنهار الأندلس ، وعليه كانت تقع « **قرطبة** » .

وعليك **عزيزى القارىء** أن تتأمل فى عبارة « **ولا من بعد** » لتدرك أنه فى السنوات التى ألف فيها « **ستانلى لين – بول** » كتابه هذا لم تكن إسبانيا قد استعادت بعد ما يماثل نظام الرى العربى المحكم .. ومن ثم تدرك كل الإدراك لماذا يُطلق على الأندلس اسم « **فردوس الإسلام المفقود** » !.

السياسى والمفكر البريطانى « أنتونى ناتنج »[٢٣] :

فى كتابه « **العرب : تاريخ وحضارة** » يبدى السياسى والمفكر البريطانى صديق العرب « **أنتونى ناتنج** » آراء مستنيرة حول الحضارة الإسلامية فى الأندلس ؛ فعن الثقافة الأندلسية وأثرها على إسبانيا الحديثة يقول **ناتنج** :

« وكثير من موسيقى إسبانيا اليوم مثل **الفلامنجو** الشهيرة ترجع أصولها إلى الأغانى الشعبية وقصائد الحب التى ألفها الشعراء والموسيقيون العرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ؛ وكان يغنيها الشعراء والمنشدون الجوالون ؛ وهم أسلاف **التروبادور**[٢٤] الذين عرفتهم أوروبا فيما بعد ».

وعن أثر الغزو الإسبانى على الحضارة الإسلامية الأندلسية يضيف **أنتونى ناتنج** :

---

(٢٣) سياسى بريطانى اشتهر باستقالته من منصبه الوزارى احتجاجا على اشتراك حكومته فى العدوان الثلاثى الغادر على مصر .

(٢٤) شعراء وموسيقيون برزوا فى أوروبا بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر الميلاديين ، وتأثر بهم الشعر الأوروبى فى العصور التالية .

« ولكن بحلول عام ١٢٥٠ كان الغزو المسيحى قد توغل فى اسبانيا ، وبالقضاء على الحكم العربى **جفت ينابيع الإلهام التى نهل منها المفكرون العظام** » .

وعن انهيار الدولة الأموية بالأندلس يقول **أنتونى ناتنج** :

« وكما حدث بالنسبة للأمويين فى الشام وللعباسيين فى العراق ، كان الحال كذلك بالنسبة للأمويين فى إسبانيا . ففى كل حالة كان العرب يبلغون ذروة القوة والمكانة على أيدى حكام مقتدرين ، ثم لا يلبثون أن يخسروا كل ما ظفروا به حالما يختفى أولئك الحكام المقتدرون من المسرح » .

وهذا فى الواقع هو « **ملخص التاريخ العربى** » !..

المعمار العربى الإسلامى بالأندلس

فى كتابه « **قصص الحمراء** » الذى نشر عام ١٨٣٢ يتحدث الكاتب الأمريكى الكبير وسفير أمريكا فى اسبانيا وعالم الأندلسيات « **واشنطن إرفنج** » ويسوق معلومات طريفة عن معمار قصر « **الحمراء** » مقر ملوك بنى الأحمر حكام غرناطة ، وفيمايلى بعض هذه المعلومات بعد إعادة صياغتها .

١ — حساب الأحمال فى مبان القصر أجرى بدقة بالغة لدرجة أنه لم يتزحزح أى جزء منها عن مكانه أو يغوص تحت ثقل ما تحمل .

٢ – قباب ومقنطرات القصر صنعت من حليات مصبوبة لها خفة الخشب وصلابة المرو ، وما زالت نماذج منها لم تصب بسوء .. ويبدو أن الغرناطيين كانوا على علم بخصائص كربونات **السلينيت** .

٣– توجد بداخل الجدران أنابيب شبيهة بالأنفاق ينتشر منها الدفء فى الحمامات وفى أجنحة القصر المجاورة لها .

٤ – يجرى بكل جناح تياران من الهواء بلا انقطاع : الهواء النقى الذى يطرد الهواء الفاسد الساخن لأعلى ، والهواء الفاسد الساخن الذى يخرج من فتحات توجد قرب السقف .

٥ – يتصل بالقصر صهريج عظيم تحمل إليه المياه فى الشتاء لترشح بطريقة بارعة ثم تحفظ نقية باردة طوال العام .. وينصح « **واشنطن إرفنج** » باتباع طريقة الترشيح والتخزين هذه فى المناطق الحارة.

٦ – القصر مزود بمخازن للحبوب تقع تحت الأرض .. والغرض من هذا طبعا هو التغلب على ظروف الحصار والمجاعات .

فهل بعد ذلك روعة **ياعزيزى القارئ** ؟.. وهل بعد الأندلس وغرناطة والحمراء حديث عن الحضارة وفنون المعمار ؟.. رباه لشد ما نفتقد أندلسنا العظيم وفردوسنا المندثر !! ..

مدن الأندلس فى عصر الحضارة الإسلامية العظيمة

قرطبة :

☐ أكبر مدن أوروبا على الإطلاق فى القرن الثالث الهجرى « **العاشر الميلادى** » .

☐ **كانت تترامى** على شاطىء نهر الوادى الكبير بطول ١٠ أميال وبعرض ٦ أميال (١٦ كيلو متر × ٩,٥ كيلو متر) .

☐ بلغ عدد الأحياء ٢١ حيا بكل منها مساجده وأسواقه وحماماته على نحو يجعل سكان الحى فى غير حاجة لدخول الأحياء الأخرى .

☐ فى عام ٤٠٠ هـ كان يحيط بقرطبة ثلاثة آلاف من المدن والقرى التابعة لها .

☐ فى عهد المنصور « **محمد بن أبى عامر** » كان بقرطبة من المرافق والدور مايلى :

مساجد	١٦٠٠
حمامات عامة	٩٠٠
منازل للرعية	٢١٢٠٠٠

قصور ودور للوزراء والجند وموظفى الدولة ٦٠٣٠٠ .

حـوانيت ٨٠٤٥٥

وكان عدد سكان المدينة حوالى **مليون** نسمة .

إشبيلية :

- فى عام ١٢٤٧ كان عدد سكان مدينة إشبيلية أكثر من ٣٠٠ ألف .
- كان إلى جوار إشبيلية حقول الزيتون التى اشتهرت باسم « **جبال الشرف** » ، وقد تنامت زراعة الزيتون فى العصر الإسلامى لدرجة أن بيوت المزارعين ومعاصر الزيت بلغ عددها « **مائة ألف** » .

« نظام الفروسية » مفخرة أوروبا أصله عربى أندلسى

يؤكد المؤرخ « **فيريدو** Veiredot » فى كتابه « **مشاهد الأخلاق العربية فى إسبانيا فى القرن العاشر** » أن العرب الأندلسيين فى عهد **المنصور محمد بن أبى عامر** هم الذين أسسوا نظام الفروسية Chivalry ووضعوا دستورها على النحو الذى عرف به بعد ذلك عند الفرسان الأوروبيين . ويذهب « **رينو القرطبى** » إلى أن مبادىء الفروسية والحرص على الشرف والرفق بالمرأة ونجدة المظلوم وحماية الضعيف قد انتشرت فى عهد **المنصور** .. ولا شك أن غزوات المنصور السبع والخمسين كانت مدرسة عظيمة للفروسية والشهامة تعلم منها الأوروبيون الكثير وإن اقتصروا فى التعامل بما تعلموه على العلاقات بينهم وبين أنفسهم ، أما أساتذتهم العرب المسلمون فلم يلقوا منهم على مر التاريخ إلا .. « **جزاء سنمار** » ولا شىء غيره ! ..

قالوا عن : رجالات الأندلس

عن عبد الرحمٰن الناصر :

يقول المؤرخ الإسبانى « **رينو القرطبى** » :

« كانت أوروبا المسيحية مدهوشة بعظمة قرطبة ، وكان عبد الرحمٰن مقصداً لجميع ملوك العصر .. وكان يراسله البابا وإمبراطور القسطنطينية وملوك إسبانيا وفرنسا وبلاد الصقالبة ، وكان الملوك المسيحيون يبسطون أيدى الخضوع للخليفة ، ويعدون من عظيم الشرف أن يقدم الخليفة يده لسفرائهم ليقبلوها ».

ويكفى أن « **أردون الرابع** » ملك ليون حين زار الأندلس فى أوائل عهد الخليفة الحاكم المستنصر طلب زيارة قبر عبد الرحمٰن الناصر .. وحين قادوه إلى القبر ركع الملك الإسبانى فى خشوع مبدياً عظيم الإجلال لذكرى الخليفة المسلم العظيم ! ..

عن الحاجب المنصور « محمد بن أبى عامر المعافرى » :

□ يقول المؤرخ العربى « **ابن عذارى المراكشى** » فى سفره القيم « **البيان المغرب فى أخبار المغرب** » أن الحاجب المنصور قد تعود أن يمسح ما علق بوجهه من غبار المعارك فى مناديل خاصة كان يجمعها على مدى غزواته السبع والخمسين ، وأنه كان يحملها معه فى أسفاره إلى جانب أكفانه توقعا لاستشهاده فى أية لحظة . وقد تجمع لديه من هذه المناديل « **صُرة** » كبيرة أوصى بأن تدفن معه فى قبره قربة إلى الله عز وجل .

الأسماء الإسبانية على اللسان العربى

الإسم الإسبانى		النطق العربى
خوليان	Julian[٢٤]	يوليان
رودريجو	Rodrigo	لذريق
سانخو	Sancho	شانجة
ألفونسو	Alfonso	الأذفونش
إل كامبيادور	El Campeador	القمبيطور
فرديناندو	Ferdinando	فرذلند
ويتيزا	Witiza	غيطشة
شارلمان[٢٥]	Charlmagne	قارلة

(٢٤) فى الأسبانية ينطق حرف **J** خاء .

(٢٥) **شارلمان** هو زعيم الفرنجة ومؤسس الإمبراطورية الرومانية و لم يكن إسبانياً .

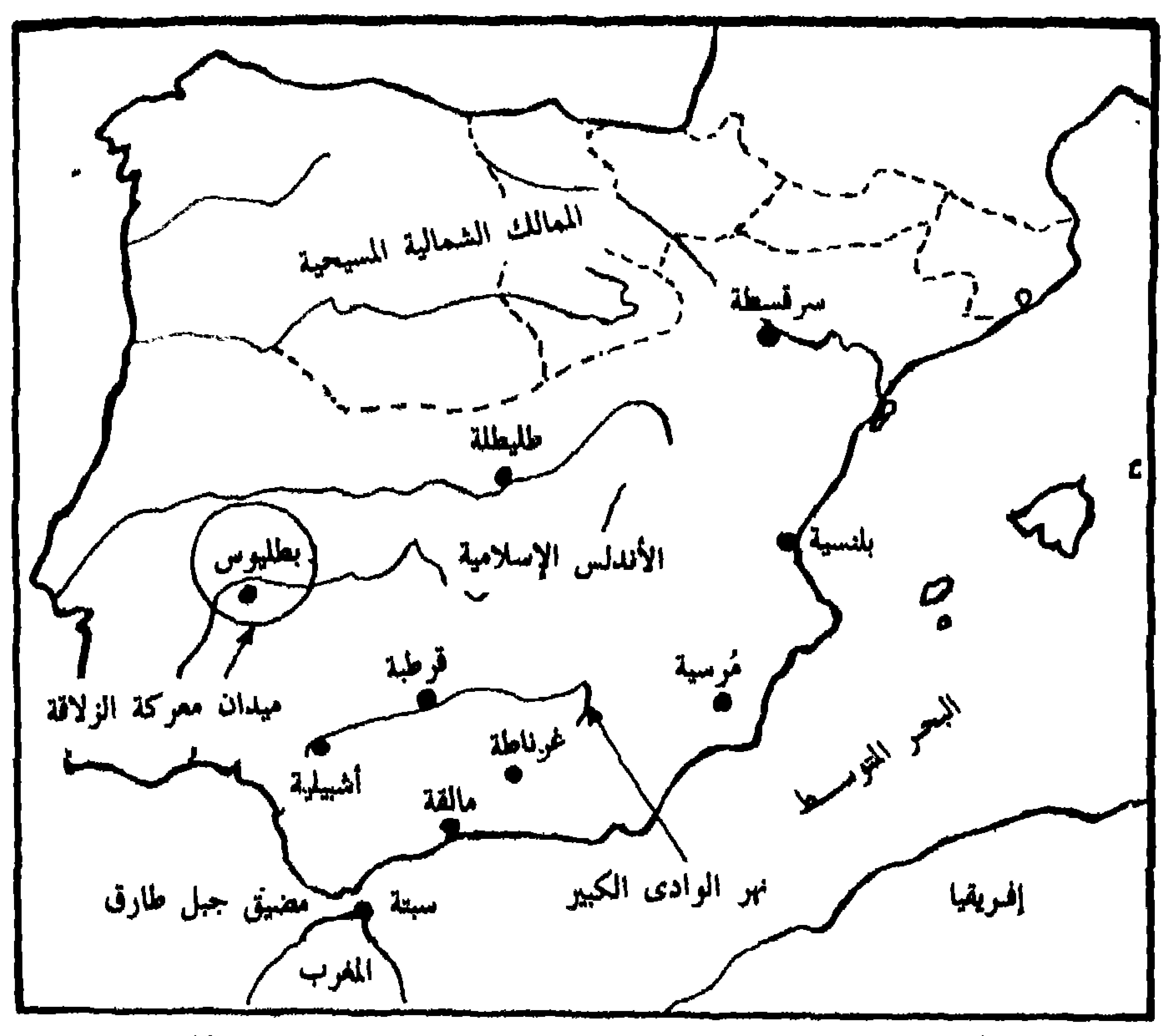
نماذج من المدن والمواقع الإسبانية ذات الأسماء العربية

الاسم العربى	التحريف الغربى للاسم	ملاحظات
الجزيرة الخضراء	Algeciras النطق الإنجليزى : ألجوسيراس النطق الإسبانى : ألثيثيراس	مدينة وميناء بجنوب غرب إسبانيا وغرب جبل طارق .
طريف (مدينة طريف)	Tarifa تاريفا	مدينة على رأس طريف جنوب اسبانيا . سميت باسم طريف بن مالك أول قائد عربى يغير على الأندلس .
بلد الوليد	Valladolid فالادوليد	مدينة بشمال غرب وسط إسبانيا .
وادى الحجارة	Guadalajara النطق الإنجليزى : جوادالاجارا النطق الإسبانى : جوادالاخارا	مدينة بشرق وسط إسبانيا .
الوادى الكبير	Guadalquivir جوادالكيفير	النهر الرئيسى بالأندلس
الحمراء	Alhambra الهامبرا	قصر وقلعة كانت مقر ملوك بنى الأحمر حكام غرناطة
جنة العريف	Generalife جنيراليف	القصر الصيفى لملوك بنى الأحمر
البشارات	Alpujaras النطق الإنجليزى : ألبوجاراس النطق الإسبانى : ألبوخراس	بلاد جبليه بشمال إسبانيا .

الأسماء المعربة لبعض أهم المدن والمواقع فى إسبانيا

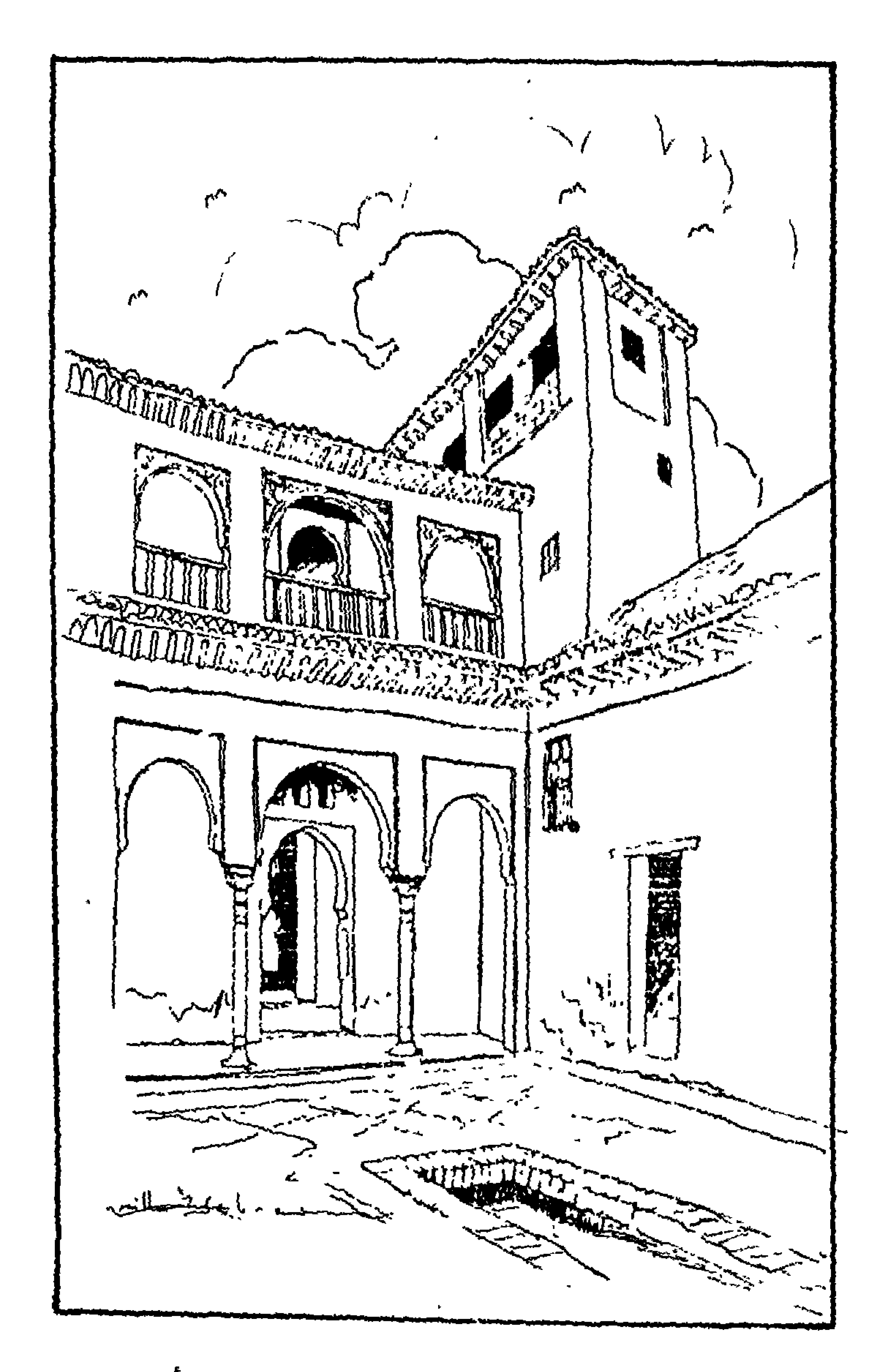
الاسم المعرب	الاسم الغربى	ملاحظات
قرطبة	Cordoba النطق الإنجليزى : كودوبا . النطق الإسبانى : كورثوبا .	العاصمة الأموية للأندلس
طليطلة	Toledo تو ليدو	العاصمة القديمة لإسبانيا وقت الفتح العربى .
أشبيلية	النطق الإنجليزى : سيفيل Seville النطق الإسبانى : سيفيلا Sevilla	مدينة على نهر الوادى الكبير بجنوب إسبانيا ، ومملكة عربية حكمها « بنو عباد » .
غرناطة	Grenada جرينادا	مدينة بجنوب إسبانيا ومملكة مسلمة كانت آخر معاقل المسلمين بالأندلس وسقطت عام ١٤٩٢ .
بلنسية	Valencia النطق الإنجليزى : فالنشا النطق الإسبانى : فالنثيا	مدينة وميناء بشرق إسبانيا ومملكة عربية سابقة . اشتهرت بمأساتها العظيمة التى أوقعها بها الوغد الإسبانى « السيد القمبيطور » .
قشتالة	النطق الإنجليزى : كاستيل Castile النطق الإسبانى : كاستيلا Castilla	إقليم بوسط وشمال إسبانيا كان مملكة إسلامية ثم تحول إلى مملكة إسبانية تزعمت حركة استرداد إسبانيا من المسلمين .

الاسم المعرب	الاسم الغربي	ملاحظات
بطليوس	Badajos, Badajoz النطق الإنجليزى : باداجوز النطق الإسبانى : باثاخوث	مدينة بجنوب غرب إسبانيا
سرقسطة	النطق الإنجليزى : ساراجوسا Saragossa النطق الإسبانى : زاراجوزا Zaragoza	مدينة بشمال شرق إسبانيا
طرطوشة	Tortosa تورتوسا	مدينة بشمال شرق إسبانيا ينتسب إليها الإمام الطرطوشى
مُرسية	النطق الإنجليزى : ميرشا Murcia النطق الإسبانى : مورثيا	مدينة بجنوب شرق إسبانيا ينتسب إليها الإمام « المرسى أبو العباس » .
لورقة	Lorca لوركا	مدينة بجنوب شرق إسبانيا
أشتورية	Asturias أستورياس	إقليم جبلى بشمال غرب إسبانيا تحصن به القوط عقب الفتح العربى للأندلس ، وفيه نبتت بذرة حركة الاسترداد
تاجة	النطق الإنجليزى : تيجوس Tagus النطق الإسبانى : تاخو Tajo	نهر يجرى بوسط إسبانيا ويصب فى البرتغال على المحيط الأطلسى
مالقة	Màlaga مالاجا	مدينة وميناء على البحر المتوسط بجنوب إسبانيا .

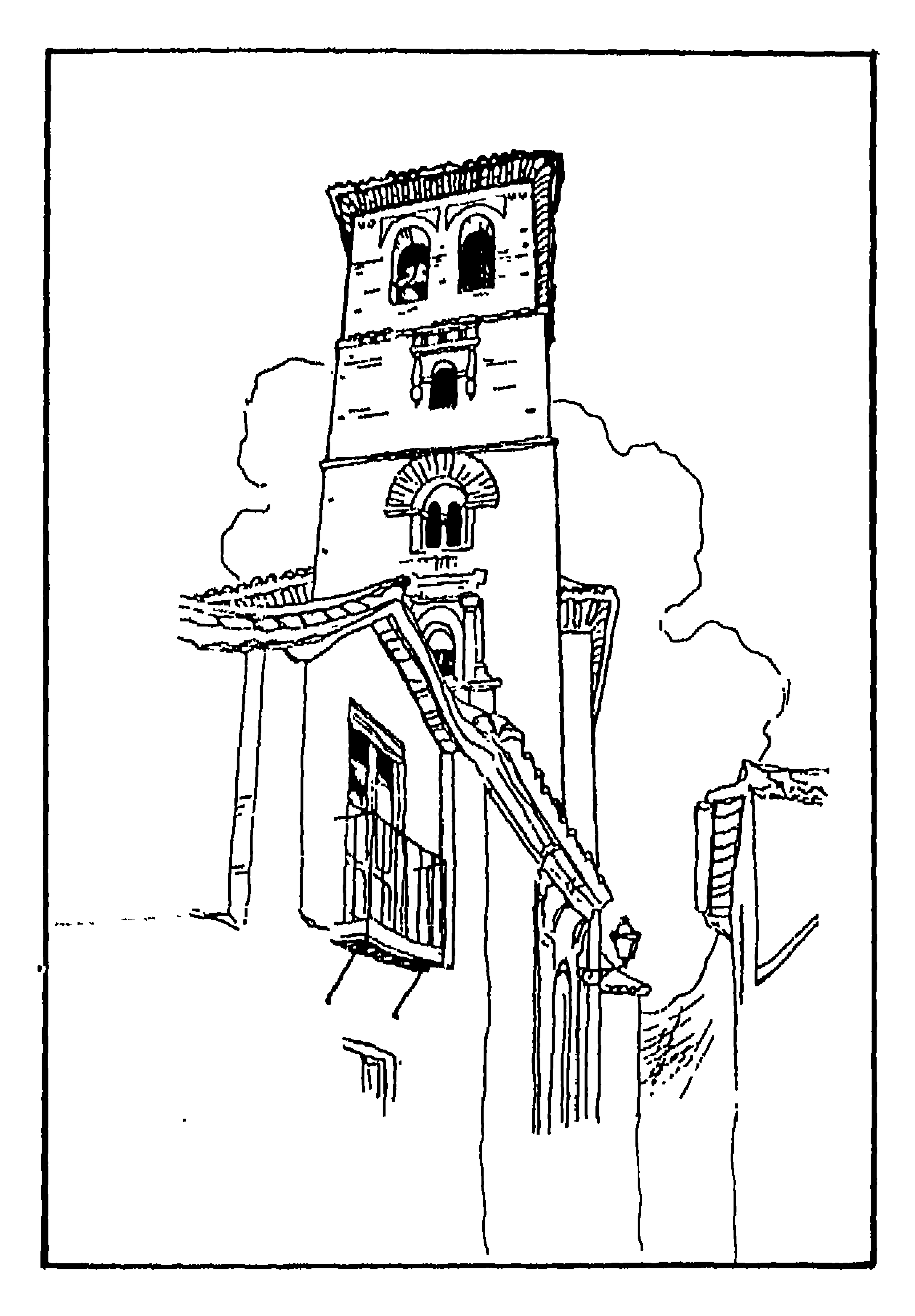




النصب التذكارى الذى أقامته أشبيلية عام ١٩٩١ لملكها العربى المسلم
« المعتمد بن عباد »



قصر « دار الحرة » روعة وتفرد الطراز المعمارى الأندلسى .



مئذنة مسجد البُريانة شامخة فى سماء أسبانيا مخلدة لذكرى بُناتها الأندلسيين العظام .

المراجع

مراجع رئيسية :

☐ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين – إبراهيم محمد حسن الجمل – دار الشعب ١٩٧٧ .

☐ قصة العرب فى اسبانيا – ستانلى لين – بول – ترجمة : على الجارم – دار المعارف ١٩٤٧ .

☐ الصراع **بين العرب** وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية – د/عبد العظيم رمضان – دار المعارف ١٩٨٣ .

☐ المعتمد بن عباد : الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ د/عبد الوهاب عزام – دار المعارف – ط ثانية ١٩٧٧ .

☐ A Short Aistory of the Saracens, Syed Amir Ali, Kitab Bhavan, New Delhi ,1981.

☐ Spain, History of, Encyclopaedia Britannica vol?, pp. 414- 420.

مراجع ثانوية :

□ الفن العربى فى إسبانيا وصقلية – فون شاك – ترجمة : د/الطاهر مكى – دار المعارف – ط ثانية ١٩٨٥ .

□ العرب : تاريخ وحضارة – انتونى ناتنج – ترجمة : محمود مسعود – دار الهلال ١٩٨٠ .

□ قرطبة فى التاريخ الإسلامى – د/جودة هلال ومحمد محمود صبح – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

□ قصص الحمراء – واشنجتن إرفنج – ترجمة : إبراهيم الإبيارى – دار المعارف ١٩٥٨ .

□ .إكسبو ١٩٩٢ : ملتقى الحضارات فى إشبيلية – العربى ٤٠١ : إبريل ١٩٩٢ – ص ٤٣ .

□ The Arabs in History, Bernard Lewis, Harper, London 1966.

الفهرس

رقم الايداع ٩٣ / ١١٤٢٣
977 - 5375 - 53 - 3



الوكلاء بالدول العربية

السعودية

● الدار البيضاء للنشر والتوزيع

الرياض ت ٤٢٥١٦٢٤ ص.ب ٨٩٥٦٢ الرياض الرمز ١١٦٩٢

● كنوز المعرفة للنشر والتوزيع

جدة ت ٦٥١٠٤٤٢ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

● دار المعرفة للنشر والتوزيع

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء

ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

● المكتبة السلفية للنشر والتوزيع

12 ح الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء

☎ 307643

الإمارات

● دار الفضيلة للنشر والتوزيع

دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٤٧٦

البحرين

● دار الحكمة للنشر والتوزيع

ص.ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢